القادياني والقاديانية

دراسة وتحليل

ابو الحسن علي الحسني الندوي

وكيل ندوة العلماء بالهند

وعضو المجمع العلمي العربي بدمشق

مطبعة «ق» بالهند

١٣٧٨ — ١٩٥٨



كلمة بين يدى الكتاب

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد وآله وصحبه أجمعين ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين .

أما بعد فقد ظهرت الديانه القاديانية فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى فى الهند بعد استقرار الحكم الانجليزى فيها وهى ثورة على النبوية المحمدية — على صاحبها الصلاة والسلام — وعلى الاسلام ومؤامرة دينية وسياسية إن وجد لها نظير فى الخطر والضرر على الاسلام فى الحركة الاسماعيلية الباطنية التى تولى كبرها عبيدالله بن ميمون القداح فى القرن الثالث الهجرى . وأشك أنها بلغت مبلغ الأولى — القاديانية — فى إصالة الفساد ودقة المؤامرة ومعاداة الاسلام.

وتبنتها الحكومة الانجليزية واحتضنتها وساعدتها العوامل

طبعه خليل شرف الدين بمطبعة «ق»
ص. ب. رقم ٣٠٧٧ بمباى ٣ (الهند)

الاجتماعية والسياسية والفكرية الكثيرة التي توفرت في عصر ظهورها فانتشرت على بعدها من الاسلام وأصبحت طائفة كبيرة يحسب لها الحساب وأصبحت «قاديان» مركز دعوة ودعاية وسياسة يدين لها ويؤم شطرها بعض كبار المثقفين — الثقافة العصرية — رجال الدولة. ولا يرى لها نشاط إلا في المناظرات وإثارة الشكوك والشبهات في المسلمين وتأييد السياسة الانجليزية ونشر الدعاية لعقيدتها الخاصة في الهند وخارج الهند حتى انقسمت الهند عام ١٩٤٧ وتكونت باكستان وفرضت الحكومة الانجليزية الراحلة عن الهند ظفرالله خان على باكستان كوزير الخارجية وانتهز الأخير فرصة سلطته بكل حزم وعزم فشحن الوزارة الخارجية والمفوضيات في عواصم العالم بالقاديانيين ودسهم في مصالح الحكومة الأخرى وسلطهم على رقاب الموظفين المسلمين وتسربوا في الجيوش الباكستانية واحتلوا مناصب خطيرة في الجيش وفي البوليس وفي مصلحة الطيران.

وقد كونوا إمارة حرة في بنجاب تسمى «الربوة»[١] وهي

---

١ — سموها الربوة ليطبقوا عليها قوله تعالى «وآويناهم الى ربوة ذات قرار ومعين» وهذا هو المنطق القادياني المعروف.

مستعمرة قاديانية لا يوظف فيها إلا القادياني، ويمكن أن تشبه الربوة في باكستان باسرائيل في فلسطين وكلاهما جاثم على صدر المسلمين وقائم منهم بالمرصاد.

وبدأت القاديانيـــة توجه دعوتها ورسالتها إلى البلاد العربية والاسلامية وبدأت تظهر في العراق وسورية وتنتشر في اندونيسيا[1]. ومن أعز أمانيها وأحلامها ومن أعظم مطامحها أن تنتشر في جزيرة العرب — مهد الاسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام — وأن يكون لها مركز قوى في مكة أو المدينة شرفهما الله وأعاذهما من كل فتنـــة وإلحاد. وبدأت تعنى بالجهات القاصية في قارة أفريقية والدول الاسلامية الناشئة. ولا تضيع فرصة لنشر دعايتها وتوجيه دعوتها في المؤتمرات السياسية والندوات العلمية العالمية والموسسات الدينية الكبيرة.

لقد فزع علماء المسلمين ورجال الدين لهذه الفتنـــة من أول يومها. وكان أول من فزع لها علماء الهند بطبيعة الحال فحاربوها بأقلامهم وألسنتهم وعلمهم، وذلك أقصى ما كان يمكن في عهـــد

١ — يقال إن عـــدد من يدين بها كبير ومنتشر في اندونيسيا ومنهم بعض كبار المثقفين ورجال السياسة.

الدولة الانجليزية. وكان فى مقدمة هؤلاء المجاهدين الشيخ محمد حسين البتالوى، ومولانا محمد على المونكيرى مؤسس ندوة العلماء، والشيخ ثناء الله الأمرتسرى والعلامة الكبير الشيخ أنور شاه الكشميرى الذى أقلقته هذه الفتنة وشغلت خاطره وتفكيره واستولت على مشاعره. وكان من أنشط الجمعيات والجماعات فى محاربة هذه الفتنة الباغية جمعية الأحرار وعلى رأسها وفى مقدمتها الخطيب المصقع السيد عطاء الله البخارى الأمرتسرى. ومن هؤلاء الموفقين الدكتور محمد إقبال الذى كان من كبار المثقفين المتنورين الذين أنجبهم العالم الاسلامى فى العصر الأخير ومن كبار الدعاة إلى الاتحاد الاسلامى المتمسكين لمبدأ التسامح، ومع ذلك كان أول من دعا إلى فصل القاديانيين من المسلمين وإعتبارهم أقلية غير مسلمة.

وأطبق العلماء على تضليل القاديانيين وتكفيرهم وأصبح ذلك كلمة إجماع لم يشذ منها إلا شاذ. وأفتوا وألفوا فى ذلك مؤلفات كثيرة. وأصدرت مراكز الفتوى فتاوى صريحة بكفرهم وارتدادهم عن دين الاسلام. وأصدرت محكمة بهاولبور سنة ١٩٣٥م بعد مناقشة طويلة دامت عامين كاملين واشترك فيها كبار علماء أهل

السنة وكبار علماء القاديانية حكمها بكفر القاديانية وعدم حلة نكاح المسلمة بالقادياني. وكتب القاضي الفاضل محمد أكبر خان حيثيات الحكم في تفصيل واستدلال وحكم بارتداد القادياني وأن نكاح عائشة بنت إلهى بخش مع عبد الرزاق القادياني باطل شرعا وقد استعرض دلائل الفريقين وناقشها في نحو مائة وخمسين صفحة أصبح من المصادر العلمية والمراجع القضائية في هذا الموضوع

ولما اشتد خطب القاديانية وكادت تستولى على باكستان — الدولة الاسلامية الكبرى — ويفلت الزمام من يد الاسلام، فزعت الجماعات الاسلامية والأحزاب المختلفة والشخصيات الدينية بهذا لوضع الشاذ. واجتمع منهم ثلاثة وثلاثون ممثلا من رؤساء الجمعيات والجماعات الدينية وكبار العلماء في باكستان في يناير عام ١٩٥٣م في كراجي فطلبوا من الحكومة أن تجعل القاديانيين أقلية غير مسلمة لها حقوقها، وأن تخصص لهم ما يستحقون حسب عددهم من المقاعد في البرلمان الباكستاني وما يستحقون من الوظائف في مختلف المصالح والادارات حتى لا يستولوا على أداة الحكومة والجهاز الادارى في باكستان ولا يضايقوا المسلمين في

---

١ — راجع « فيصلة مقدمة بهاولپور » طبع في ١٩٣٥ م في لاهور في اللغة الأردوية.

دولتهم التي أسسوها بدمائهم وأشلائهم

وتصامت الحكومة عن هذه المطالبة العادلة الصارخة ولم تعرها شيئا من العناية فاضطر قادة الفكر إلى حركة عامة تبدى السخط العام وتقنع الحكومة بتغلغل هذه الفكرة والرغبة فى طبقات الجمهور. وكانت حركة شعبية هائلة لم تشهد البلاد مثلها منذ عهد بعيد. وقد أضعفت هذه الحركة القاديانية كثيرا وأقصتها عن الحياة العامة والمجتمع الاسلامى وانتهت بسحب ظفر الله خان عن الوزارة أخيرا. ولكنها لا تزال قوة فى الداخل ودعاية فى الخارج ولا تزال خطرا على الفكرة الاسلامية ووحدتها فى العالم الاسلامى، وعلى الجيل الجديد الذى لم يهضم الاسلام ولم يتشرب تعاليمه وثقافته ولم ترسخ فيه العقيدة الاسلامية الأصيلة، ولا تزال نشيطة فى بث دعوتها وعقيدتها فى الأقطار العربية التى لا تخلو من الفوضى الفكرية — كغيرها من الأقطار — وجهل العقيدة الاسلامية فى بعض الأوساط وقلة الحمية الدينية فى بعضها. أضف إلى ذلك جهل إخواننا العرب الشباب لحقيقة القاديانية وتاريخها وعقائدها وعجزهم عن الاطلاع على مصادرها ومؤلفات مؤسسها وانخداعهم بالدعايات وتأييد ظفر الله خان لبعض القضايا الاسلامية

وبعض مواهبه وشهرته التى لا صلة لها بالعقيـــدة وصحتها والتى ترزقها الكافر والمؤمن، والفاسق والصالح.

وقد عنى بعض كبار العلماء فى مصر والشام بالرد على القاديانية وكانت لهم فى ذلك مواقف محمودة يستحقون عليها الشكر والتقدير. ولم يمكنهم الاطلاع على العقيدة القاديانية وطبيعتها وتاريخها والدور الذى مثلته لأن المكتبة القاديانيـــة لا تزال فى «اردو» ومؤلفات المرزا غلام أحمـــد العربية — على قلتها — يضن بهـا ويحرص على إخفائها. فلم تكن كتابات علماءنا فى البلاد العربية على قيمتها العلمية والدينيـــة تصويرا دقيقا صادقا للديانة القاديانية وما تشتمل عليـــه من طامات، وقد وجدتُ فى زياراتى للشرق العربى وإقامتى فى حواضره وعواصمه رغبـة ملحـة فى نقل العقائد القاديانية وتعاليمها إلى العربية وتعريفها إلى العلماء العرب حتى يصح لهم الحكم عليها ويمكنهم نقدها وتزييفها.

كل ذلك أقلق شيخنا الجليل العارف الكبير مولانا عبدالقادر الراى بورى الذى يلتهب غيرة على الاسلام وعقيـدته وحماسة فى الدفاع عن كرامة الرسول وعرضه والذى هو من أعرف النـاس

بأخطار القاديانيـــة وأهدافها قد عاصر ولادة القاديانية ونشوءها وقابل موسّسها وجلس إلى صاحب فكرتها وسرها الحكيم نور الدين وكان دائما من وراء الجهاد ضد الحركة القاديانيـــة فى بنجاب ومدده الروحى وسنـــده الدينى ، وأمرنى بتاليف كتاب بالعربية أعرض فيه الديانة القاديانية وعقيدتها وتاريخها ، وقد حثه على ذلك ندورة ما يقدم فى هـذا الموضوع إلى المثقفين العرب ، فقد انعقدت الندوة العلميـــة العالمية فى لاهور فى يناير ١٩٥٨م وحضرها وفود من العالم العربى ، وتسائل كثير من أعضائها عن القاديانيـة ولم يجد أصدقاؤنا — على شدة حرصهم — ما يقدمونه إلى هؤلاء العلماء .

وصلت إلى لاهور على إثر هـذه الندوة العلميـة فكان الشيخ وكان أصدقائى الكثيرون فى انتظارى ، وكان الشيخ مصمما على أن لا يتركنى حتى أولف هـذا الكتاب ، ورائيت منـه الجد والحرص الشديد على هذا التأليف الذى يراه حاجـة من حاجات هذا العصر الاسلاميـة ودفاعا عن كرامة الرسالة المحمدية الأخيرة التى تلاعب بها واجترأ عليها هذا الجسور وعرض الاسلام للخطر الدائم ورأيت من سعادتى أن يقع علىّ اختيار أحد كبار المخلصين

وأن أكون جنديا صغيرا للدفاع عن الاسلام وأن أنافح عن عرض محمد عليه الصلاة والسلام وعن حماه وأرد عنه الكلاب والذئاب .

وكنت مكلفا بدراسة المكتبة القاديانيـــة الضخمة الثقيلة التى خلفها موسسها وبعض أتباعه واستعراضها ، ولم يتفق لى ذلك من قبل إذ لم يكن شيء أثقل على وأبغض إلى من قراءة هذه الكتب الضخمـــة التى كتبت فى أسلوب ثقيل لا تفيد قارئها علما جديدا ولا تروح نفسه فليس فيها علم غزير، ولا طرافة ولا متعة أدبية ولكنى عزمت على ذلك واعتكفت فى حجرة من حجرات منزل الوجيه الفاضل الشيخ عبدالحميد عضو البرلمان الباكستانى والوزير السابق وحضر لى الاخوان مكتبة القاديانية ومن كتبها ما يحتوى على أكثر من ألف صفحة ومنها ما يشتمل على أقل منه وعكفت على مطالعتها والاقتباس منها ثم بدأت أكون رأيي وفكرتى فأكتب وأولف ، حتى تم الكتاب فى قرابة شهر ، وكان ذلك فى اليوم السابع والعشرين من فبراير عام ١٩٥٨م . والحمد لله الذى بعزته وجلاله تتم الصالحات .

وقد كان دليلى فى هذه المكتبة الواسعة صاحب هذه المكتبة

مولانا محمد حياة الذى يكاد يكون دائرة معارف القاديانية . وله اقتدار عجيب واستحضار غريب لكل ما يتصل بالقاديانية وكنت أقتبس من كلتا المكتبتين الصامتة والناطقة ، وأعترف أنى لم أكن أستطيع أن أودى مهمتى لو لا مساعدة هذا الأستاذ الكبير الذى يتهيبه الدعاة القاديانيون ويتحامون مناظرته .

وطلب لى الشيخ الجليل مولانا عبدالقادر — الذى كان يشرف على هذ العمل ويطلع يوميا على تقدمه — مولانا لال حسين أختر — ليذاكرنى فى هذا الموضوع ويعيننى بمعلوماته القيمة وتجاربه الواسعة وهو من أقوى المناظرين للاسلام وأوسعهم علما وأشدهم عارضة ، وقد بقى فى لاهور ثلثة أيام يفيدنى ويضيف إلى معلوماتى . ولا شك أن توجيهاته كانت غالية جدا فقد عاش فى القاديانية زمنا وكان من كبار مناظريهم ثم وفقه الله للتوبة والدفاع عن عقيدة الاسلام وليس اليوم أحد أشد على القاديانية منه ، وعند الدعاة القاديانيين تعليمات أن لا يناظروه .

وأذكر بالشكر والتقدير القاضى إحسان احمد الشجاع آبادى الذى هو فى مقدمة خطباء هذا الموضوع وله مواقف مجيدة فى الدفاع عن الاسلام والرد على القاديانية ، أعترف بمهارته وملاحقته

للقاديانية رئيس المجلس القضائى فى لاهور فى تقريره المعروف. وقد ساعدنى الاستاذ المذكور ببعض معلومات نادرة وكتب كان يبعثها إلى.

وأخص بالشكر المجاهد الكبير مولانا محمد على الجالندهرى وكيل «مجلس تحفظ ختم نبوت» الذى مركزه ملتان. فقد كان من كبار المرحبين بفكرة التاليف والمشجعين لاتمامه، والمغتبطين بظهوره.

ولا أنسى — مع هؤلاء العلماء الكبار — صديقى المخلصين اللذين كانا بجوارى دائما يحضران كل ما أحتاج إليه ويسهران على راحتى وكانا من كبار الحريصين على ظهور هذا الكتاب فى أقرب فرصة، وهما الأخ عبدالوحيد ابن أخت شيخنا الجليل، والقاضى عبدالقادر، جزاهما الله وجميع الاخوان خيرا وتقبل منهم.

أما بعد فقد كتبت هذا الكتاب فى أسلوب عصرى شائق، وتحاميت الأسلوب الجدلى القديم، حتى لا يزهد فى قرائته الشباب المثقف وتناولت شخصية مؤسس الديانه بالدراسة والتحليل العلمى، وذكرت كيف تطورت فكرته وعقيدته، وانتقدت الديانة

وصاحبها في أسلوب علمي نزيه وتحريت الدقة والصحة والأمانة في ترجمة العبارات والنصوص وحكايتها والاحالة إلى الصفحات وذكرت المصادر القاديانية مع بيان طبعاتها لأن القاديانيين عرفوا بالتغيير في الطبعات المختلفة، واشتهروا بالمكابرة وجحود النقل.
وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير منيرا للفكر وزادا للدعاة، ومغنيا عن الأسفار الكبيرة.

وصلى الله على خير خلقـه وخاتم رسله وأنبيائه سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعهم باحسان إلى يوم الدين.

ندوة العلماء — أبوالحسن على الحسنى الندوى

لكهنو (الهند) — سلخ شعبان ١٣٧٧هـ



الباب الأول

الشخصيات الأساسية وعصرها وبيئتها

الفصل الأول

(القرن التاسع عشر المسيحي)

يتسم القرن التاسع عشر المسيحي بالاضطراب الفكري والثورات النفسية فى الشرق الاسلامى . وقد اشتد هذا الاضطراب وعنف هذا الصراع فى الهند بصفة خاصة ، حيث كان الصراع بين الحضارتين — الغربية والشرقية ، وبين الثقافتين — الحديثة والقديمة ، وبين الديانتين — الاسلامية والمسيحية — أوضح وأقوى .

أخفقت ثورة الهند الكبرى ثورة ١٨٥٧م وأصابت المسلمين فى الهند دهشة الفتح ونكبة الهزيمة . وعانوا وطأة الاستعمار السياسى ، ووطأة الاستعمار الثقافى . وقامت الدولة الفتاة المنتصرة

تنشر ثقافتها وحضارتها . وانتشر القسوس فى الهند يدعون إلى المسيحية ويحرصون على زعزعة العقيدة الاسلامية وإضعاف الثقة بأسس العقيدة ومصادر الشريعة . وكان الجيل الناشىء — الذى لم ترسخ فيه التعاليم الاسلامية — فريسة هذه الدعوة بصفة خاصة . وكانت المدارس الثانوية والكليات — والجامعات قليلة فى ذلك العصر — مرتعا خصيبا للاضطراب الفكرى والثورة النفسية . وظهرت حركة التنصر . وكانت موجة الالحاد والتردد فى العقائد أقوى وأطغى . وكثرت المناظرات بين القسوس وعلماء الاسلام ، انتصر فيها العلماء وظهرت فيها قوة حجج الاسلام ، ولكن تلا كل ذلك قلق فى النفوس وتبلبل فى الأفكار والعقائد .

واتسع الخرق بين الفرق الاسلامية ، وتحمست كل فرقة فى الرد على غيرها ، وكثرت المناظرات والمجادلات أدت فى بعض الأحيان إلى المضاربات والمحاكمات . وحمى الوطيس وعنف الصراع . كل ذلك أحدث قلقا فكريا وأضعف حرمة الدين ومهابته وحط من مكانة العلماء وكرامتهم .

ونشط المحترفون بالتصوف والناقصون فى نشر شطحاتهم وإلهاماتهم . وقويت رغبة العامة والدهماء فى الأمور الغريبة ،

والخوارق العجيبة، والأخبار الغيبية . وكثر المتطفلون والأدعياء وهيأوا العقول والنفوس لكل أمر غريب ، وشيء جديد ، ولكل دعوة طريفة وحديث خرافة .

واستولى على المسلمين اليأس والتذمر والقلق . ويئس الناس من إصلاح الأوضاع بالأساليب العادية الطبيعية ، وبدأوا يتطلعون إلى منقذ جديد غريب. وكثر الحديث عن الفتن والعصر الأخير، وكثرت التنبؤات والالهامات، وذاعت المنامات والتكهنات .

وكانت بنجاب أكبر مجال للقلق الفكرى وضعف العقيدة والعلم . فقد قاست هذه الناحية من بلاد الهند حكم السكه الذى كان أشبه بالحكومة العسكرية أو الحكم العرفى ثمانين حولا ، تزلزلت فى خلالها العقائد ، وضعفت الحمية الدينية، وفُقدت الثقافة الاسلامية الصحيحة، واضطربت الأفكار والعقول والنفوس اضطرابا عظيما، وتهيأت لكل ثورة فكرية ، ودعوة متطرفة.

وقد ظهر المرزا غلام أحمد فى أواخر القرن التاسع عشر. فوجد محيطا مناسبا لفكرته ودعوته وطموحه . ووجد من البيئة

التى نشأ فيها والظروف والأوضاع التى عاصرته ورافقته كل مساعد ومشجع . ووجد من الحكومة التى كانت فى أشد الحاجة إلى زعيم روحى يؤيد سياستها ويتشيع لها كل ترحيب وتشجيع . وهكذا سارت القاديانية سيرها تحت ظروف مساعدة حتى أصبحت ديانة مستقلة وأصبحت مشكلة تهدد العالم الاسلامى .

وعن هذه المشكلة ونشوءها وتطورها نتحدث فى هذا الكتاب .



الفصل الثانى

﴿ المرزا غلام أحمد القاديانى[1] ﴾

نسبه وأسرته: ينتمى المرزا غلام أحمد القاديانى إلى السلالة المغوليـــة، وإلى فرع من فروعها يسمى «برلاس»[2] وظهر له متأخرا (أو أُلهم من الله وكُلم على التعبير الذى يؤثره) أنه من النسل الفارسى،[3] وكان جده الكبير المرزا گل محمد، صاحب قرى وأملاك، وصاحب إمارة فى بنجاب. وقد خسرها جده المرزا عطا محمد فى حرب دارت بينه وبين السكه — الذين استولوا على بنجاب فى فجر القرن التاسع عشر — وبقيت له خمس قرى من هذا التراث الكبير.[4]

وقد عُرف بيته — كما يحدثنا المرزا مرة بعد مرة ويتباهى

١ — اقتصرنا فى ترجمته على مؤلفات المرزا غلام أحمد نفسه وتصريحاته وكتاباته، وكتاب سيرة المهدى لنجله الأوسط المرزا بشير أحمد، والمصادر القاديانية فقط.

٢ — هامش كتاب البرية للمرزا غلام أحمد ص ١٣٤.

٣ — الأربعين رقم ٢ ص ١٧ على الهامش، وترجمة الاستفتاء ملحق حقيقة الوحى ص ٧٧، وقد احتج كثيرا بالحديث المشهور.

٤ — كتاب البرية ص ١٤٢-١٤٤ (الهامش).

بذلك فى رسائله التى قدمها إلى الحكومة الانجليزية — بالولاء والاخلاص للانجليز، والتفانى فى طاعتهم وتشييد ملكهم. يقول: «لقد أقرت الحكومة بأن أسرتى فى مقدمة الأسر التى عرفت فى الهند بالنصح والاخلاص للحكومة الانجليزية. ودلت الوثائق التاريخية على أن والدى وأسرتى كانوا من كبار المخلصين لهذه الحكومة من أول عهدها، وصدق ذلك المؤظفون الانجليز الكبار. وقد قدم والدى فرقة مؤلفة من خمسين فارسا لمساعدة الحكومة الانجليزية فى ثورة عام ١٨٥٧م، وتلقى على ذلك رسائل شكر وتقدير من رجال الحكومة. وكان أخى الأكبر غلام قادر بجوار الانجليز على جبهة من جبهات حرب الثورة».[١]

ولادته: ولد المرزا عام ١٨٣٩م أو ١٨٤٠م فى آخر عهد حكومة السكه فى بنجاب فى قرية قاديان من مديرة «كرداسبور» (الواقعة بعد التقسيم فى الهند) وكان فى السابعة عشرة من عمره يوم نشبت الثورة الهندية الكبرى.[٢]

ثقافته: تلقى المرزا مبادى العلم وقرأ الكتب المتوسطة فى

---

١ — كتاب البرية، الاعلان المؤرخ ٢٠ من سبتمبر ١٨٩٧م، ص ٣-٥.
٢ — كتاب البرية ص ١٤٦.

المنطق والحكمة والعلوم الدينية والأدبيـة فى داره على الأساتذة فضل إلهى، وفضل أحمد، وگل على شاه؛ والطب القديم على والده الذى كان طبيبا ماهراً. وعرف أيام الطلب بالعكوف على المطالعـــة والانقطاع إليها وإجهاد النفس حتى حمل ذلك والده مراراً على الاشفاق على صحته.[١]

وظيفته وأشغاله: توظف المرزا فى محكمة حاكم المديرية فى مدينة سيالكوت بمرتب يساوى خمس عشرة ربية[٢] (جنيها مصريا وزيادة يسيرة) وبقى على ذلك أربع سنوات من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٨٦٨م،[٣] قرأ خلال ذلك كتابين فى الانجليزية،[٤] ودخل فى اختبار للحقوق وأخفق فيه.[٥] واستقال من هـذه الوظيفة عام ١٨٦٨م، وشارك والده فى المحاكمات والقضايا التى كان مشغولا بها. وكان يتفرغ رغما عن ذلك لمطالعة كتب التفسير والحديث والتدبر

---

١ ــ كتاب البرية ص ١٤٩-١٥٠.

٢ ــ كتاب «تحفة شاهزادة ويلز» (هدية إلى ولى العهد سمو أمير ويلز) بقلم المرزا بشيرالدين محمود نجل موسس الديانة وخليفته الثانى ص ٣٤.

٣ ــ سيرة المهدى ص ٤٤، ج ١.

٤ ــ سيرة المهدى ص ١٥٥، ج ١.

فى القرآن كما يقول.[١]

صفته وأخلاقه: وقد لوحظ عليه من بداية أمره البساطة والغرارة وقلة الفطنة والاستغراق، فكان لا يحسن ملأ الساعة، وكان اذا أراد أن يعرف الوقت وضع أنملته على ميناء الساعة وعد الأرقام عدا.[٢] وكان لا يحسن لبس الأحذية الأفرنجية الجديدة ولا يميز الأيمن منها من الأيسر حتى اضطر لذلك إلى وضع العلامة عليها بالحبر، وكان يخطىء رغم ذلك.[٣] وكان يضع أحجار الاستنجاء التى يحتاج إليها كثيرا، وأقراص القند — التى كان مغرما بها — فى مخبأ واحد.[٤]

صحته وأمراضه: وقد أصيب فى شبابه بمرض هستيريا (Hysteria) والنوبات العصبية العنيفة. وكان يغمى عليه فى بعض هذه النوبات ويخر صريعا.[٥] وكان يسمى ذلك بهستيريا بعض الأحيان وبالمراق أحيانا. وأصيب بداء البول السكرى (Diabetes). وقد ساعده

١ — كتاب البرية ص ١٥٥ (الهامش).
٢ — سيرة المهدى ص ١٨٠، ج ١.
٣ — سيرة المهدى ص ٦٧، ج ١.
٤ — ترجمة المرزا لمراج الدين عمر القاديانى ملحقة بكتاب «براهين أحمدية» الجزء الأول ص ٦٧.
٥ — سيرة المهدى ص ١٧، ج ١.

ذلك كثيرا بعـد ما ادعى أنه هو المسيح الموعود على تأويل الردائين الأصفرين اللذين ينزل فيهما المسيح كما جاء فى الأخبار.[1]

ونقل عنه الاشتغال بالعبادات والمجاهدات ومواصلة الصيام شهورا. وجلس فى خلوة «أربعين» فى هوشياربور سنه ١٨٨٦م، ومكث فيها عشرين يوما أيضا.[2] ومنعه انحراف صحته وضعفه من مواصلة هذه المجاهدات.

معيشته: بدأ المرزا حياته كموظف صغير يزيد مرتبه على جنيه قليلا. وبدأ حياته فى تقشف وزهادة حتى تبوأ الزعامة الدينية — التى سنشرحها فى فصل قادم — فاتسع له العيش وأقبلت عليه الدنيا. وقد ذكر ذلك بنفسه فقال: إنى لم أكن آمل نظرا إلى حياتى وإمكانياتها أن يحصل لى عشر ربيات شهريا، ولكن الله الذى يرفع الفقراء من الحضيض ويرغم المتكبرين، قد أخذ بيدى، وأنا أوكد أن ما جاءنى من الوارد ومن الاعلانات والتبرعات إلى هذا الوقت (عام ١٩٠٧) لا يقل عن ثلث مائة ألف ربية وربما

---

١ — اقرأ الفصل الثانى من الباب الثانى.

٢ — سيرة المهدى ص ٧١ ج ١.

يزيد على ذلك.[١]

وقد توسع بعد ذلك فى المطاعم والمشارب والأبنية، وعُنى بتناول الأطعمة المغزية والأدوية والمعجونات المقوية الثمينة، واستعمال المسك والعنبر. وكان يتعاطى فى بعض الأحيان بعض أنواع المشروبات المقوية المسكرة (مثل Tonic Wine).[٢] وتصرف فى الأموال والواردات تصرفا مطلقا أثار اعتراضا من بعض كبار المخلصين.[٣]

زواجه وذريته: تزوج أولا سنة ١٨٥٢ أو ١٨٥٣م فى أسرته، ورزق منها ولدين، أحدهما المرزا سلطان أحمد والآخر المرزا فضل أحمد. (طلق هذه الزوجة عام ١٨٩١م) وتزوج بعد ذلك فى دلهى عام ١٨٨٤م، والقاديانيون يلقبون هذه الزوجة الثانية بأم المؤمنين. وقد ولدت له سائر أولاده، منهم خليفته الحالى المرزا بشير الدين محمود؛ والمرزا بشير أحمد، صاحب كتاب

---

١ ـ حقيقة الوحى ٢١١ - ٢١٢.

٢ ـ مجموع الرسائل ص ٥.

٣ ـ أنظر كتاب كشف الاختلاف للمولوى سرور شاه الكشميرى القاديانى ص ١٢ وص ١٥.

«سيرة المهدى»؛ والمرزا شريف أحمد.[١]

وتنبأ عام ١٨٨٨م بأنه سيتزوج الفتاة «محمدى بيكم» وهى من أسرته وأخبر أنه أمر قد قُضى فى السماء ونبأه الله به مرارا وتكرارا وتحدى عليه العالم. وتزوجت الفتاة بشاب آخر وعاشا بعد وفاته مدة طويلة.[٢]

وفاته: وقد تحدى عام ١٩٠٧م العالم المشهور بمولانا ثناء الله الأمرتسرى بأن الكاذب المفترى من الرجلين سيموت. ودعا الله تعالى أن يقبض المبطل فى حياة صاحبه ويسلط عليه داءآ مثل الهيضة والطاعون يكون فيه حتفه.[٣]

وفى شهر مايو ١٩٠٨ أصيب بالهيضة الوبائية[٤] وهو فى لاهور، وأعيا الداء الأطباء ومات فى الساعة العاشرة ونصف صباحا، وكان ذلك فى اليوم السادس والعشرين من مايو سنة ١٩٠٨م،[٥]

---

١ — سيرة المهدى ص ٥٣، ج ١.

٢ — إقرأ نصل «نبوءة لم تحقق».

٣ — «تبليغ رسالت» المجلد العاشر ص ١٢٠ إعلان من المرزا.

٤ — إعترف بذلك المرزا لصهره النواب ناصر. انظر حياة ناصر للنواب ناصر الدهلوى ص ١٤ - ١٥.

٥ — سيرة المهدى ص ١١، ج ١.

ونقلت جثتـــه إلى قاديان حيث دفن فى المقبرة التى سماها بمقبرة الجنة (بهشتى مقبره) وخلفه الحكيم نورالدين .



الفصل الثالث

﴿ الحكيم نور الدين البهيروى ﴾

وتلى شخصية المرزا غلام أحمـــد القاديانى – مؤسس الديانة والطائفة – شخصية أخرى هى شخصية الحكيم نورالدين. ويعتقـد بعض الباحثين أنه صاحب الفكرة والتصميم فى الحركة القاديانية، فلنتعرف عليه.

نشأته وثقافته: ولد الحكيم نورالدين حول عام ١٢٥٨ هـ أو ١٨٤١ م يعنى قبل الثورة الهندية بست عشرة سنـــة فى بهيره من مـــديرية شاه بور[١] فى بنجاب. وكان أبوه الحافظ غلام رسول إماما فى مسجـــد فى «بهيره». وينتهى نسبه – كما روى – إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه.

تعلم الحكيم الفارسية والخط ومبادى العلوم العربية، وعُـين أستاذا للفارسية فى مدرسة من مدارس الحكومة فى «راولبندى» فى ١٨٥٨م وتعلم الأقليدس والحساب والجغرافية واجتاز امتحانا

---

١ – تسمى هذه المديرية الآن «سرگودها» وهى فى غربى باكستان.

وعين مديرا لمدرسة إبتدائية. ومكث فى هذه الوظيفة أربع سنوات قرأ فى خلالها بعض كتب النحو والمنطق والتوحيد (علم العقائد). واعتزل هذه الوظيفة وانقطع إلى الدراسة. وقرأ شيئا يسيرا على الشيخ أحمد دين الذى كان معروفا باخلاصه وصلاحه، وصاحبه فى السفر والحضر، ثم تركه لكثرة جولاته. وسافر إلى لاهور ومنها إلى «رامبور» الأمارة المسلمة فى المقاطعة الشمالية والمركز العلمى الكبير، وقرأ على الشيخ حسن شاه، والشيخ عزيزالله والشيخ إرشاد حسين، والمفتى سعدالله، والشيخ عبدالعلى. وأتم دراسته ومكث هناك ثلاث سنين.

ومن رامبور سافر إلى «لكهنؤ» بلد العلم والثقافة المعروف. وقرأ الطب العربى (القديم) على طبيبها المشهور الحكيم على حسين، ومكث معه سنتين وحذق علم الطب. ومن رامبور سافر إلى «بهوبال» الامارة المسلمة كذلك والمركز العلمى الكبير. وعنى به المنشى جمال الدين (وزير بهوبال وصهر الأمير صديق حسن خان المؤلف الشهير). وقرأ على العالم الجليل بقية السلف المفتى عبدالقيوم ابن الشيخ عبدالحى البرهانوى الحديث والفقه، ورحل للحج عام ١٢٨٥هـ. وأقام فى الحجاز وقرأ على الشيخ

محمد الخزرجي والسيد حسين والشيخ رحمة الله الهندى صاحب إظهار الحق. وصحب الشيخ الجليل الشيخ عبد الغنى المجددى فى المدينة المنورة وبايعه، ورجع إلى وطنه. وحدث بينه وبين علماء بلده مباحثات ومناظرات.

وعُين طبيبا خاصا فى ولاية «جمون» منطقة كشمير الجنوبية. وخدم أمراء جمون وپونچه وكشمير. وكان يتمتع بنفوذ كبير لبراعته فى الطب وفصاحته وعلمه وذكائه حتى وقعت بينه وبين أمير جمون وحشة وعزل عن الوظيفة عام ١٨٩٢م.[١]

وفى زمن إقامته فى جمون تعرف بالمرزا غلام أحمد القاديانى الذى كان مقيما فى «سيالكوت» وتوثقت بينهما الصداقة ولما ألف المرزا «براهين أحمديه» ألف الحكيم كتاب «تصديق براهين أحمديه» وبايعه الحكيم وخضع له حتى قال لما أخبر بأن المرزا ادعى النبوة: لو ادعى هذا الرجل أنه نبي صاحب شريعة ونسخ شريعة القرآن لما أنكرت عليه.[٢] وألف الحكيم نورالدين باقتراح

---

١ — التقطت هذه المعلومات من كتاب «مرقاة اليقين فى حياة نورالدين» للشيخ أكبر شاه خان النجيب آبادى طبع «أحمديه انجمن إشاعت اسلام لاهور». والكتاب من إملاء الحكيم نورالدين.

٢ — سيرة المهدى ص ٩٩.

المرزا غلام أحمد كتاب «فصل الخطاب» فى الرد على المسيحية فى أربعة أجزاء.[١] وانتقل إلى قاديان بعد اعتزاله عن الوظيفة عام ١٨٩٢، وتدير هناك وبويع بالخلافة على وفاة المرزا غلام أحمد عام ١٩٠٨ ولقب بالخليفـــة الأول، وخليفة المسيح الموعود نورالدين الأعظم، وكان يتردد فى تكفير من لا يؤمن بالمرزا كنبي، ثم جزم بالتكفير،[٢] وثار حول خلافته نقاش[٣] ولكنه لم يعتزل وبقى فى خلافته ست سنوات، وسقط من الفرس، وجرح واعتقل لسانه قبل الوفاة بأيام،[٤] وكان قد استخلف المرزا بشيرالدين محمود نجل المرزا غلام أحمد الأكبر، ومات فى ١٣ من مارس عام ١٩١٤م.[٥]

شخصيته وعقليته: تدل قصة حياته عـــلى أنه كان قلق النفس، ثائر الفكر، عقلي النزعة، تحرر فى المذهب ورفض التقليد فى بداية أمره، ثم تأثر بالمدرسة التى تدين بضرورة إخضاع الدين والعقيدة

---

١ ــ «مرقاة اليقين» ص ١٥٠.
٢ ــ «كلمة الفصل» لبشير أحمد القادياني.
٣ ــ «تشحيذ الأذهان» قاديان المجلد التاسع عدد ١١ نوفمبر ١٩١٤م.
٤ ــ صحيفة الفضل المجلد التاسع عدد ٢٣٦٩ فبراير ١٩٢٢م.
٥ ــ صحيفة «بيغام صلح» المجلد الرابع عدد ١١٤.

والقرآن للعلوم الطبيعية ونظرياتها التى دخلت — عن طريق الانجليز — جديدة فى الهند،[١] وتاويل كل ما عارض — وبالأصح ظهر أنه يعارض — المقررات — وبالأصح المشهورات — الطبعية فى ذلك العصر، ولو تعدى ذلك إلى التعسف وتحميل اللغة العربية ما لا تحتمله، وجنح إلى تأويل المعجزات والحقائق الغيبية.[٢]

وكان كبير الرغبة فى المباحثات والمناظرات. والمناظرات إذا لم يكن لصاحبها إيمان راسخ وشخصيته دينية قوية ومدد روحى قد تجر إلى الاضطراب والتشكك والتأويلات البعيدة، هذا مع صلاحيته للخضوع للشخصية الدينية والخضوع للالهام والمنامات الغريبة. وكثيرا ما يجتمع التقليد والاستسلام الروحى، مع التنور وحرية الفكر، وشخصية الانسان شخصية مزدوجة تتركب من شخصيات مختلفة وأهداف الانسان ودوافعه مما يعسر فهمها والاحتواء عليها.

---

١ — كان يتزعم هذه المدرسة فى أواخر القرن التاسع عشر السيد أحمد خان مؤسس كلية عليكره (التى أصبحت بعد وفاته جامعة عليكره الاسلامية) ومن كبار رجالها ومؤلفيها الأستاذ چراغ على صاحب المؤلفات الشهيرة فى الانجليزية والاردوية.

٢ — انظر نماذجه فى تفسير تلميذه الأستاذ محمد على اللاهورى واقرأ الفصل الخاص بالفرع اللاهورى فى هذا الكتاب.

الباب الثاني

تطور فكرة المرزا غلام أحمد وعقيدته وتدرجه فى الدعاوى

الفصل الأول

﴿ الرجل كمؤلف وداعية إسلامى ﴾

في ساحة التأليف والمناظرة: لقد عرفنا المرزا غلام أحمد فى ما سبق يعيش فى قرية من قرى مديرية «گرداسبور» عاكفا على مطالعة الكتب الدينية، ويظهر من مؤلفاته التى ظهرت بعد عام ١٨٨٠م أن معظم هذه الكتب كانت عن الملل والنحل وعن المسيحية والبرهمية والآرية[1] بصفة خاصة.

لقد كان هذا العصر عصر المناظرة بين الأديان والفرق كما قدمنا. وقد نشط القسوس ورجال الكنيسة فى نشر ديانتهم والدعوة

---

١ — فرقة من الهنادك أسسها «ديانند سرسوتى» فى القرن التاسع عشر المسيحى، تمتاز بالحماسة الدينية والنشاط فى الدعوة والمناظرة والرد على المسلمين، وتدعو إلى الأخذ بتعاليم ويدا ونصوصه ورفض البدع والمحدثات الداخلة فى الديانة البرهمية، وتقول بقدم العالم وقدم الروح والمادة.

إليها والرد على الدين الاسلامى، وكانوا يستمدون قوتهم وثقتهم من الدولة التى تدين بالمسيحية وتعتبر هذه البلاد جائزة من المسيح. ونشط دعاة الآرية فى الرد على الاسلام، وكان من مصلحة الانجليز—الذين اكتووا بنار ثورة عام ١٨٥٧م التى كادت تقضى على مطامعهم— تشجيع هذه الدعوات والمجادلات، لأنها تحدث الاضطراب الفكرى والخلق فى البلاد والشعب، وتشعر الناس بالحاجة إلى دولة قوية تحمى الجميع. وكان كل من يقوم للدفاع عن العقيدة الاسلامية والرد على الديانات الأخرى مطمح أنظار المسلمين ومعقد آمالهم.

هيأ المرزا غلام أحمد نفسه للدخول فى هذه المعركة التى تكسبه النصر والصيت البعيد، وبدأ يؤلف كتابا كبيراً فى إثبات فضل الاسلام وإعجاز القرآن وإثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم والرد على الديانات السائدة فى الهند كالمسيحية والآرية والبرهمية والبرهموسماجية[1]، وقد سمى هذا الكتاب «براهين أحمديه».

<u>كتاب «براهين أحمدية» والتحدى عليه:</u> بدأ تأليف هذا

---

١ — ديانة هندية جديدة ظهرت فى القرن التاسع عشر تحاول الجمع بين تعاليم الاسلام والبرهمية وتقر التوحيد وتنكر النبوة والالهام. مؤسسها «راجه رام موهن راى»

الكتاب من عام ١٨٧٩م،[1] وتكفل المؤلف أن يجمع فيه ٣٠٠ دليل على صدق الاسلام، وقد بلغ الكتاب إلى ثلث مائة جزء (ملزمة تحتوى على ست عشرة صفحة)[2] وكاتب بعض العلماء والباحثين والكتّاب فى موضوع الكتاب، وطلب منهم أن يرسلوا إليه أفكارهم ومقالاتهم يستعين بها فى تأليفه، وكان منهم الأستاذ چراغ على، وجاءت منه مقالات وتوجيهات ضمنها الكتاب من غير أن يذكر مصدرها.[3]

ظهر الكتاب الموعود فى أربعة أجزاء وفى ٥٦٢ صفحة بالقطع الكبير، وأصدر المؤلف إعلاناً فى الانجليزية والاردوية فى عدد كبير وأرسله إلى الملوك والوزراء والقسوس وعلماء الهنادك وتحدى فيه وادعى — لأول مرة — أنه مأمور من الله لاقامة حجة الاسلام، ومستعد لاقناع الجميع. وقد جاء فيه بصراحة «لقد كلفنى الله إصلاح الخلق بمسكنة وتواضع وفقر وتذلل على طريقة النبي الناصرى الاسرائيلى (المسيح) وقد ألفت لهذا الغرض كتاب «براهين أحمديه» الذى ظهرت منه ٣٧ ملزمة، وأنا مرسل

---

١ — سيرة المهدى ج ٢ ص ١٥١.
٢ — براهين أحمديه ج ٢ ص ١.
٣ — الدكتور عبد الحق فى كتابه «چند هم عصر» ص ٥٣ - ٥٥.

نسخة من هذا الكتاب، وقد بشرنى الله أن كل من يقرأ هذه الرسالة الموجهة إليه ثم لا يَقِر بالحق يكتب له الهزيمة والخذلان». ودعا من طلب الحق أن يحضر إلى قاديان ويمكث معه سنة كاملة وسيرى الآيات السماوية والخوارق، والذى لا يراها يستحق جائزة مائتى ربية.[١]

وتحدى أن يأتى أحد لمثل هذا الكتاب ويثبت صحة دينه بالدلائل التى تكافئ دلائله فى هذا الكتاب أو تبلغ نصفها او ثلثها أو ربعها أو خمسها. والذى يقدم هذا الكتاب المطلوب الذى يحكم له ثلثة حكام عادلون، يقدم إليه عشرة آلاف ربيه.[٢] وطلب من المسلمين أن يتبرعوا بنشاط وحماسة لتكاليف طبع هذا الكتاب العظيم الذى هو انتصار للاسلام.[٣] ويظهر أن هذه الدعوة لم تلق ترحيبا كبيراً وتلبية متحمسة، وأن الاجابة كانت فاترة ضعيفة. وقد أبدى المؤلف تألمه من فتور الاجابة العملية.[٤]

---

١ — ترجمة المرزا لمراج الدين عمر القاديانى فى مقدمة كتاب «براهين أحديه» الجزء الأول ص ٨٢د و ٨٢هـ.

٢ — «براهين أحديه» ص ١٨ - ٢٠.

٣ — «براهين أحديه» الجزء الأول (ب) بقلم المرزا غلام أحمد.

٤ — براهين ج ٢ ص ج.

وقد تجلت في هذا الاعلان الذي هو كالتمهيد لهذا الكتاب وكالمقدمة لحياته روح التحدي والادلال بالنفس، والاسترسال في الدعاوي، والاعتماد على الخوارق والآيات السماوية في إقناع الناس وإثبات الحق، بجوار النزعة التجارية.

دعوة وسياسة: وقد ضمن الجزء الثالث والرابع حثَّ العلماء والجمعيات الاسلامية على إقناع الحكومة الانجليزية، بأن المسلمين أمة هادئة سلمية مخلصة للانجليز؛ وعلى الاعلان بحرمة الجهاد في بلاد الانجليز، وأن يترتب لذلك مذكرة تثبت عليها توقيعات العلماء وتقدم إلى الحكومة. وجاء في هذا الاقتراح التغني بفضل الانجليز على المسلمين، وأن حكومتهم نعمة جسيمة من الله ورحمة، وأنها هي الدولة الوحيدة التي تحصل فيها أهداف إسلامية لا تحصل في غيرها،[1] وأعاد ذلك وكرره مرة بعد مرة، وقد حرص على أن لا تخلو باكورة مؤلفاته من هذا التوجيه السياسي للمسلمين، وخدمة بارة للحكومة الانجليزية.

مصير الكتاب: استمر صدور هذا الكتاب من عام ١٨٨٠ إلى عام ١٨٨٤ م، وتوقف تأليفه بعد الجزء الرابع، فلم يؤلف

١ — براهين، الجزء الثالث (ب).

الجزء الخامس — وهو الأخير — إلا عام ١٩٠٥م[١] يعنى بعد ٢٣ عاماً من بدء الكتاب كما اعترف به المؤلف نفسه فى الجزء الخامس.[٢] وقد مات كثير من الذين اشتروا الأجزاء الأربعة الأولى وسددوا بدل الاشتراك، وبدأ الانكار والاستياء من الذين قدموا أثمانهم. وقد اعتذر المؤلف فى مقدمة الجزء الخامس عن ذلك. وذكر أنه عدل عن عرض ثلث مائة دليل على صدق الاسلام. وذكر أنه كان عازماً على إصدار خمسين جزءاً من هذا الكتاب ولكنه سيقتصر على خمسة أجزاء ولما كان الفرق بين الخمسين والخمسة هو صفر واحد فقد انجز وعده باتمام خمسة اجزاء.[٣] وقد ذكر نجل المؤلف المرزا بشير أحمد فى كتابه «سيرة المهدى» ان الكتاب لم يشتمل إلا على دليل واحد فقط من ثلث مائة دليل كان قد وعد بها، وهذا الدليل الواحد لم يأت كاملا كذلك.[٤]

نظرة فى الكتاب: إن من يقرأ هذا الكتاب يعترف لمؤلفه بسيلان القلم وطول النفس فى الكتابة والمناقشة. وكل ذلك يرشح

١ — سيرة المهدى، ج ٢، ص ١٥٤

٢ — ص ١.

٣ — براهين، ج ٥، ص ٧

٤ — «سيرة المهدى» ج ١، ص ١١٢.

مؤلفه ليكون مناظراً قوى العارضة — وبالأصح كاتباً مكثراً — إزاء المسيحيين والآرية وباحثا جدليا، ويرفعه إلى صف المناظرين البارعين المنتشرين فى الهند .

ولا يجد القارىء فى هذا الكتاب الطويل الضخم إبتكاراً علميا لم يُسبق إليه المؤلف . ويفوقه فى الاطلاع على المصادر المسيحية وأسرارها ودقائقها والاقتداء على إفحام القسوس الكبار مولانا رحمة الله الكيرانوى (م١٣٠٩ﻫ) صاحب «إظهارالحق وإزالة الأوهام وإزالة الشكوك»، وفى حلاوة المنطق وطرافة الاستدلال فى الرد على الآرية مولانا محمد قاسم النانوتوى (م١٢٩٧ﻫ) صاحب «تقرير دل پذير» و «حجة الاسلام» و «آب حيات» .

الالهامات والتحديات فى الكتاب: ويدهش القارىء ويتخم بالالهامات والمنامات والخوارق والكشوف والتكليمات الالهية والنبوءات التى طفحت بها أجزاء هذا الكتاب، والادعاءات والتحديات الطويلة العريضة التى تخرجه من كتب البحث العلمى النزيه، والنقاش الدينى الهادىء، إلى كتب التحدى والادعاء السافرة التى تطغى عليها الأنانية وتمنع من الاستفاده منها والاقبال عليها .

لقد بنى المؤلف كتابه على أن الالهام لم ينقطع ولا ينبغى أن ينقطع، وأن هذا الالهام هو من أقوى الدلائل على صحة الدعوى وصدق الديانة والعقيدة، وأن الذى يتم اتباعه للرسول صلى الله عليه وسلم يكرم بالعلم الظاهر والباطن الذى أكرم به الرسل إصالة ويحصل له العلم اليقينى والقطعى، ويكون علمه اللدنى مشابها بعلم الرسل، وهم الذين ذكروا فى الحديث بالأمثل، وفى القرآن بالصديق، ويكون عصر ظهورهم مشابها بعصر بعثة الأنبياء، وبهم تقوم حجة الاسلام ويكون إلهامهم إلهاما يقينيا قطعيا.[1]

ثم ذكر الشيء الكثير الممل من إلهاماته يطول نقله وتثقل قراءته على القارىء الأديب إلا أننا نقتصر على مثالين من هذه الالهامات «الطريفة».

يقول: «لقد ألهمت آنفا وأنا أعلق هذه الحاشية، وذلك فى شهر مارس عام ١٨٨٢م ما نصه حرفيا:

«يا أحمد! بارك الله فيك، ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، الرحمن علم القرآن، لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم ولتستبين

١ — براهين احمدية ج ٣، ص ٢٣١—٢٣٤ باختصار.

سبيل المجرمين. قل إنى أمرت وأنا أول المؤمنين. قل جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا، كل بركة من محمد صلى الله عليه وسلم، فتبارك من علم وتعلم. قل إن افتريته فعلىّ إجرامى. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. لا مبدل لكلمات الله، ظلموا أن الله على نصرهم لقدير. إنا كفيناك المستهزئين يقولون أنى لك هذا أنى لك هذا، إن هذا إلا قول البشر. وأعانه عليه قوم آخرون. أفتأتون السحر وأنتم تبصرون. هيهات هيهات لما توعدون. من هذا الذى هو مهين ولايكاد يبين جاهل أو مجنون. قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، هذا من رحمة ربك، يتم نعمته عليك ليكون آية للمؤمنين. أنت على بينة من ربك، فبشر وما أنت بنعمة ربك بمجنون. قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله»[1] (فى عبارة طويلة).

إلى أن يقول: «إنى رافعك إلى، وألقيت عليك محبة منى، لا إله إلا الله فاكتب وليطبع (كذا) وليرسل فى الأرض. خذوا التوحيد التوحيد يا أبناء الفارس (كذا). وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم. واتل عليهم ما أوحى إليك

---

١ — براهين ج ٣، ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

من ربك. ولا تصعر لخلق الله، ولا تسئم من الناس، أصحاب الصفة وما أدريك ما أصحاب الصفة، ترى أعينهم تفيض من الدمع، يصلون عليك. ربنا إننا سمعنا مناديا ينادى للايمان، وداعيا إلى الله وسراجا منيرا أملوا.[١] اه

ومن إلهام طويل فى الجزء الرابع:

«وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أ نومن كما آمن السفهاء، ألا إنهم هم السفهاء ولكن يعلمون (كذا). ويحبون أن تدهنون (كذا) قل يا أيها الكفرون لا أعبد ما تعبدون. قيل ارجعوا إلى الله فلا ترجعون، وقيل استحوذوا فلا تستحوذون. أم تسئلهم من خرج فهم من مغرم مثقلون بل أتيناهم بالحق فهم للحق كارهون، سبحانه وتعالى عما يصفون. أ حسب الناس أن يتركوا إن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا. ولا يخفى على الله خافية. ولا يصلح شىء قبل إصلاحه، ومن رد من مطبعه (كذا) فلا مرد له».[٢]

وقد نزل عليه إلهامان بالانجليزية، ذكرهما فى الجزء الرابع

---

١ — براهين ج ٣، ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

٢ — براهين ج ٤، ص ٥٠٩.

من «براهين أحمدية».[١]

عقيدته في هذا الكتاب: لقد اقتصر هذا الكتاب بأجزائه الأربعة — من الدعاوى الخاصة به — على استمرار الالهام وبقاء وراثة الأنبياء في العلم اللدني وحصول نور اليقين والعلم القطعي، وأنه مأمور من الله لاصلاح العالم والدعوة إلى الاسلام ومجدد لهذا الدين، وأن له مماثلة للمسيح عليه السلام[٢] وأقر فيه برفع المسيح عليه الصلاة والسلام إلى السماء ونزوله مرة ثانية.[٣] وأنكر الحاجة إلى نبوة جديدة ووحي جديد، لأنه لا خطر على القرآن وتعاليمه من التحريف كوبد والانجيل لقوله تعالى: «إنا نحن نزلنا القرآن وإنا له لحافظون». ولا خطر على المسلمين من العود إلى الوثنية الجاهلية وعبادة المخلوق، فقد قال «وما يبدىء الباطل وما يعيد» بل بالعكس قد أصبح المشركون في خطر من التوحيد الاسلامي، وأصبحت الوثنية مهددة بالتعليم الاسلامي، فلا حاجة إذن إلى شريعة جديدة وإلهام جديد وتحقق أن الرسول صلى الله عليه وسلم خاتم الرسل.[٤]

---

١ — براهين ج ٤، ص ٥٥٤ - ٥٥٦. ٢ — سيرة المهدي ج ١ ص ٢٩.
٣ — اعترف به المرزا في كتابه وضميمه كتاب نزول المسيح، المؤلف عام ١٩٠٢ ص ٦، وفي الجزء الخامس من براهين أحمديه ص ٨٥.
٤ — الجزء الثاني من براهين أحمدية ص ١١٠ - ١١١

تأثير الكتاب ورد فعله : يظهر أن هذا الكتاب قد جاء فى أوانه وأن المؤلف كان بعيد النظر فى إيثاره للموضوع الذى كان يشغل المسلمين، وكانوا يجلون كل من ينهض له ويضطلع به وينظرون إليه كبطل من أبطال الاسلام، وأنه أحسن الدعاية لهذا الكتاب، وقد أحدث دويا فى الأوساط الاسلامية، وكان التحدى من أكبر أنصار هذا الكتاب. وكان فى مقدمة المعجبين به والمثنين عليه زميله القديم فى الدراسة الشيخ محمد حسين البتالوى من كبار علماء أهل الحديث فى بنجاب فقد قرظه فى شىء من الاطراء والمبالغة، وفى شىء من الدهشة والاستغراب فى مجلته «إشاعة السنة».[1] وقد أراد الله أن يكون الشيخ من كبار المناهضين له والمنكرين عليه بعد ما ادعى أنه هو المسيح الموعود.

وقد توسم بعض العلماء أن مؤلف هذا الكتاب مدع للنبوة، ويُذكر من هؤلاء الشيخ محمد والشيخ عبدالعزيز ابنا الشيخ عبدالقادر اللدهيانوى. وأنكر على هذه الالهامات واستبعدها جماعة من علماء أهل الحديث فى أمرتسر.[2]

١ — المجلد السابع عام١٨٨٤م عدد ٦ - ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١.
٢ — مجلة «اشاعة السنة» المجلد السابع عدد ٦، يونيه ١٨٨٤م.

لقد أخرجه هذا الكتاب وهذا الاعلان الصارخ من زاوية الخمول ومن العزلة التى كان يعيش فيها، واتجهت إليه الأنظار والقلوب، وعرفته البلاد، كما قال نجله بشير أحمد فى سيرة المهدى.[1] ويقول المؤلف نفسه عن العصر الذى بدأ يؤلف فيه «براهين أحمديه»:

«لقد كنت فى ذلك العصر رجلا خاملا ليس له معارض ولا موافق، أعيش فى زاوية الخمول.... وكنت كميت مدفون فى قبره من قرون، ولا يعرف أحد لمن هذا القبر ومن هو الدفين فيه».[2]

مناظرته للآرية: وفى سنة ١٨٨٦م السنة التى اعتكف فيها المرزا فى هوشيار بور ناظر «مرلى دهر» الآريا سماجى، وألف كتابا فى حكاية هذه المناظرة التى وقعت فى شهر مارس سنة ١٨٦٦م أسماه «سرمة چشم آريه» وهو كتابه الثانى فى المناظرة والرد على الديانة الآرية.

لقد كان موضوع البحث فى المناظرة الأولى هى معجزة شق

---

١ — ص ١٠٤.

٢ — تتمه حقيقة الوحى ص ٢٨.

القمر وثبوتها عقليا ونقليا. وقد دافع المؤلف عن هـذه المعجزة وعن المعجزات دفاعا قويا، وأثبت أن وقوع المعجزات والخوارق ممكن عقلا، وأنه ليس للعقل البشرى القاصر والعلم الانسانى المحدود، والتجارب الفردية المحدودة أن تنكر وقوع المعجزات والخوارق فى هذا العالم الفسيح. ويلح مرة بعد مرة على ضيق علم الانسان واتساع دائرة الامكان.[1] ويقرر أنه لا بد فى الدين من الايمان بالغيب، وأنه لا يتنافى مع العقل لأنه غير محيط. والكتاب من خير ما يرد به على بحثه نفسه فى استحالة رفع المسيح وبقائه فى السماء هذه القرون المتطاولة ونزوله، وعلى اتجاهه — الذى يسيطر على كل ما كتبه متأخرا — إلى إنكار المعجزات والتعليل العقلى فى مثل هـذه الآيات والغيبيات. والشخصية التى تتجلى فى هذا الكتاب تختلف عن الشخصية التى تجلت فى ما بعد اختلافا واضحا.

إكتشاف خطير: وبهذين الكتابين — اللذين كان لهما صدى فى الأوساط الاسلامية وغير الاسلامية — عرف المرزا قيمته وجعل يشعر بخطره وتأثيره، وامكانيات نجاحه، ونشأ فيـه اعتداد — وبالأصح اعتزاز — بنفسه ورأيه وإعجاب بشخصيته ومواهبـه.

---

١ — سرمة چشم آريه ص ٥٥٧ .

وكان ذلك نقطة تحول من الخمول إلى الظهور، ومن التواضع إلى الكبرياء ومن مناظرة المسيحيين و «الآرياسماجيين» إلى دعوة المسلمين ومناظرتهم وتحديهم .

ونودع هذه الشخصية وقد وقفت على نقطة التحول وعلى مفترق الطرق فى هذا الفصل وقد تهيأت لأمر عظيم ومهدت له الطريق ، ونتحدث عن الشخصية الجديدة التى فاجأت المجتمع الاسلامى فى الفصل القادم .



الفصل الثانى

من التأليف والدعوة إلى دعوى «المسيح الموعود»

بين صديقين: لقد علمنا فى الفصول السابقة أن الحكيم نورالدين كان مقيما فى «جمون» بحكم وظيفته وكان طريقه إذا سافر من وطنه «بهيره» إلى «جمون» على سيالكوت، البلد الذى أقام فيه المرزا غلام أحمد من عام ١٨٦٤ إلى ١٨٦٨م موظفا فى المحكمة، ويلتقيان على الرغبة الجامحة فى المناظرة وعلى الطموح، فتعارفا وأعجب أحدهما بالآخر. وتبدأ المراسلة بينهما من عام ١٨٨٥ ونقرأ الرسالة الأولى للمرزا الموجهة إلى الحكيم فى مجموع رسائله، وقد أرخت باليوم الثامن من مارس سنة ١٨٨٥م.[١]

وتتصل وتستمر هذه المراسلة، وتتوثق بينهما الصداقة، ويتبرع الحكيم نورالدين بسخاء بطبع كتبه ويستدين منه المرزا ويشكره على مساعداته المالية وتبرعاته السخية، ويعترف له بالفضل والشهامة وترتفع من بينهما الحشمة والكلفة، فيتكلمان فى الشؤون المنزلية

١ — مكتوبات أحديه الجزء الخامس ص ١.

والأمور الشخصيـــة.[1] ويسافر المرزا لزيارته إلى كشمير فى يناير سنة ١٨٨٨م، ويقيم عنده مدة شهر.[2] ويكتب إليه المرزا ويطلب منه أن يؤلف كتاباً فى الرد على «ليكهرام» الذى الف كتاباً سماه «تكذيب براهين أحمديه». ولايزال على اتصال وثيق به يخبره بالهاماته ومناماته وعلومه الغريبة ويشكو إليه معارضة العلماء وتكفير بعضهم له ويذكر فى كتاب له كتب فى اليوم الخامس عشر من يوليه عام ١٨٩٠ «أفهم أن الله سيبدى أمراً عظيما».[3]

إقتراح خطير: وفى سنة ١٨٩١م — وهى السنة التى تعتبر بحق الخط الفاصل ونقطة التحول فى حياة القاديانى وفى تاريخ القاديانية— فى اليوم الرابع والعشرين من يناير يفاجئنا كتاب من المرزا ردا على رسالة الحكيم نورالدين، يوضح لنا الفكرة القاديانيـة وكيف تطورت واختمرت ومن أين كان انبثاقها. وإلى القارى ما يتعلق بهذه النقطة فى هذه الرسالة «الخالدة»:

«لقد تساءل الأستاذ الكريم: ما المانع من أن يدعى هذا

١ — راجع مكتوبات أحديه الجزء الخامس.
٢ — مكتوبات أحديه، ج ٥، ص ٥
٣ — مكتوبات أحديه، ج ٥، ص ٧٩

العاجز[1] أنه مثيل للمسيح، وينحى فى جانب مصداق الحديث الذى جاء فيه أن المسيح ينزل فى دمشق، وأى ضرر فى ذلك؟ فليعلم الأستاذ الكريم أن العاجز ليست له حاجة إلى أن يكون مثيلا للمسيح، إن همه الوحيد أن يدخله الله فى عباده المتواضعين المطيعين».[2]

الفكرة وأهميتها: لقد عرف الحكيم نورالدين باطلاعه الواسع على المكتبة الدينية ودراسته للمجتمع الاسلامى الذى كان يعيش فى آخر القرن التاسع عشر المسيحى، أن عقيدة حياة المسيح ونزوله فى آخر الزمان، وأحاديث الفتن — التى لم يأت تأويلها بعد — هو المنفذ اللائق للتسرب إلى عقول المسلمين، وأن الذى يتزعم هذا المنصب وينتحله ويظهر فى مظهره يستطيع أن يوسس سيادة روحية وإمارة دينية وسياسيـــة بسهولة. ويظهر من تاريخ ذلك العصر السياسى وما كتبه الانجليز أن فكرة الجهاد كانت قــد أقلقتهم وشغلت بالهم. إن حركة المجاهد الشهير السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيــد كانت لا تزال ماثلة أمامهم. إنهم رأوا كيف ألهب السيد وزملاؤه شعلة الجهاد والفــداء وبثوا روح النخوة الاسلامية

---

١ — يعنى المرزا نفسه.

٢ — مكتوبات أحديه ج ٥، ص ٨٥.

والحماسة الدينيــة فى صدور المسلمين فى الربع الأول من القرن التاسع عشر المسيحى وكيف التف حوله وحول دعاته آلاف من المسلمين عانت منهم الحكومة الانجليزية مصاعب عظيمة،[1] ورأت السيد محمد أحمد السودانى يقوم فى السودان باسم الجهاد والمهدوية فكاد يقضى على الحكم الانجليزى فى السودان. ثم رأت دعوة السيد جمال الدين الأفغانى تنتشر فى العالم الاسلامى. كل ذلك كان يعرفه الانجليز، ويعرفون أن هــذه الشرارة لا تزال كامنة فى صدور المسلمين مستعدة للالتهاب والاشتعال بأدنى مناسبة، وكانوا يعرفون أن فكرة المهدى والمسيح الموعود قد تغلغلت فى المجتمع الاسلامى. فلا يستغرب إذا كان هذا المشروع من وحيهم وايعازهم وإنهم ارادوا استغلال هذه العقيدة والفكرة. وأيا كان المصدر الأول — الحكيم نورالدين أو الانجليز — ومهما كانت الدوافع والمغريات، فلا شك أن الحكيم نورالدين كان صاحب الاقتراح الأول فى هذا المشروع. وهنا تتميز الفكرة القاديانية عن الديانات السماوية والدعوات النبوية تميزا واضحا، فان الأنبياء والرسل—صلوات الله وسلامه عليهم — ينزل عليهم الوحى من السماء ويتلألأون ايمانا

---

١ — انظر كتاب الدكتور و . و . هنتر Our Indian Musalmans

وثقة برسالتهم ولاتنبثق عقيدتهم أو دعوتهم من اقتراح أو توجيه وتكون مقالتهم «وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»، «وأنا أول المؤمنين».

لقد اقترح الحكيم نورالدين على المرزا غلام أحمد — بعد ما رقى القمة فى «الروحانية»، وتهيأ له الجو وتمهد الطريق واشتهر ذكره فى الآفاق — أن يظهر فى مظهر المسيح ويدعى أنه هو المسيح الذى أخبر بنزوله، وأصبح ذلك عقيدة إسلامية[1] وكثر الحديث عنه فى

---

١ — مما لا شك فيه أن عقيدة رفع المسيح ونزوله قبل القيامة من عقائد المسلمين التى دل عليها القرآن وتواترت بها الأحاديث والآثار وتلقاها جيل بعد جيل وطبقة بعد طبقة. وقد صرح ابن كثير بتواتر الأحاديث فى نزوله، وقد ذكر الحافظ ابن حجر فى فتح البارى تواتر نزوله عليه السلام عن أبى الحسين الآبرى. ومن شاء التفصيل فليراجع كتاب عقيدة الاسلام للعلامة انور شاه الكشميرى.

وكما تواتر النقل بالنزول كذلك انعقد الاجماع عليه من الأمة، وإنما خالفه الملاحدة والمتفلسفة كما فى عقيدة السفارينى. وقد نقل الأبى وغيره فى شرح مسلم عن مالك فى العتبية نصه بما يوافق التواتر والإجماع. وكذا ابن حزم مصرح بتواتر النزول فى كتابه الملل. أما الناحية العقلية وإمكان الرفع والنزول فمن آمن باحاطة قدرة الله وآمن بصفات الله وأفعاله لا يشك فى إمكانه ووقوعه بعد صحة النقل وتواتره خصوصا بعد تقدم العلوم الطبعية فى الزمن الأخير وبالأخص فى عصر الأقمار الصناعية مما وسع دائرة الامكان. وقد أحسن العلامة انور شاه فى ملاحظته أن المرزا غلام أحمد يدعى النبوة ثم يتفلسف مع أنه لا يعرف شيئا عن الفلسفة والعلوم الطبعية وإنما يردد ما سمعه من أتباعه أنصاف المتعلمين، فاذا عجز وقامت عليه الحجج العلمية التجأ إلى الالهام، فهو كالنعامة إذا قيل له طر استنوق أو استجمر، وإذا قيل له احمل استنسر.

المجتمع الاسلامى. وقدر الحكيم بحكمته أن المسلمين ــ بعد ما تأثروا بدفاعه عن الاسلام واعتقدوا فيه الولاية لكثرة إلهاماته ومناماته ومبشراته ــ يرحبون به ويخضعون له.

المرزا يدعى أنه مثيل للمسيح: وكنا نجل المرزا على اعتذاره عن الظهور فى المظهر الذى اقترحه الحكيم نورالدين وتواضعه وحيائه وحرصه على الخمول، ولكننا نفاجأ بأن المرزا قد قبل هذا الاقتراح وبدأ يعلن ذلك فى قوة وصراحة واستدلال ويدعو إليه، فنطالع كتابه «فتح إسلام» وهو أول كتاب ألفه ونشره بعد «براهين أحمديه» و «سرمة چشم آريه» و «شحنة حق» ــ وكل ذلك تجرد عن فكرة مثيل المسيح ــ وظهر فى عام ١٨٩١م السنة الفاصلة، فنقرأ إدعائه أنه مثيل المسيح لأول مرة وهنا ترجمة العبارة الحرفية:

«(أيها الناس) إذا كنتم أصحاب إيمان ودين فاحمدوا الله واسجدوا لله شكرا، إن العصر الذى قضى آباؤكم حياتهم فى انتظاره ولم يدركوه، وتشوقت إليه أرواح ولم تسعد به قد حل وأدركتموه، وإليكم وحدكم أن تقدروا هذه النعمة وتنتهزوا هذه الفرصة، سأكرر ذلك ولا أفتأ أذكره أننى ذلك الرجل الذى

أرسل لاصلاح الخلق ليقم هذا الدين فى القلوب من جديد .»

«لقد أرسلت كما ارسل الرجل (المسيح) بعد كليم الله (موسى) الذى رفعت روحه بعد تعذيب وإيذاء شديدين فى عهد هيرو ديس، فلما جاء الكليم الثانى (محمد صلى الله عليه وسلم) الذى هو أول كليم وسيد الأنبياء لقمع الفراعنـــة الآخرين الذى قال الله تعالى عنه «إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهدا عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا» فكان لا بد أن يكون بعـــد هذا النبى الذى هو فى تصرفاته مثل الكليم ولكنه أفضل منه، من يرث قوة مثيل المسيح وطبعـــه وخاصيته، ويكون نزوله فى مدة تقارب المدة التى كانت بين الكليم الأول والمسيح بن مريم يعنى فى القرن الرابع عشر الهجرى، وقد نزل هذا المسيح وكان نزوله روحانيا ».[1]

وهذه العبارة مع غموضها وتعقدها — وأعتقد أن الكاتب قد تعمد ذلك — صريحة فى عقيدته ودعوته الجديدة، وأنه هو مثيل المسيح. إذن قد قبل المرزا اقتراح صديقه نورالدين وتقمص هذه الفكرة الجديدة. وكتبه الثلاثة «فتح اسلام» و «توضيح مرام» و «ازالة اوهام» وكلها ظهرت فى عام ١٨٩١م،[2] تدور حول هذا

١ — فتح إسلام، ص ٦ - ٧.
٢ — سيرة المهدى، ج ٢، ص ١٥١.

الموضوع وتبدأ وتعيد فيه. ويقول فى محل آخر من هذا الكتاب:

«إن لى شبها بفطرة المسيح، وعلى أساس هذا الشبه الفطرى أرسل هذا العاجز باسم المسيح ليدك العقيدة الصليبية، فقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير، لقد نزلت من السماء مع الملئكة الذين كانوا عن يمينى وعن شمالى»[١]

وافتتح كتابه «توضيح مرام» وهو صنو الكتاب الأول بعبارة صريحة سافرة بل صارخة، وهذه ترجمتها حرفياً:

«إن المسلمين والنصارى يعتقدون باختلاف يسير أن المسيح بن مريم قد رفع إلى السماء بجسده العنصرى، وأنه سينزل من السماء فى عصر من العصور. وقد أثبتُّ فى كتابى يعنى «فتح اسلام» أنها عقيدة خاطئة،[٢] وقد شرحت أنه ليس المراد من النزول هو نزول المسيح بل هو إعلام على طريق الاستعارة بقدوم مثيل المسيح، وأن هذا العاجز هو مصداق هذا الخبر حسب الاعلام والالهام».[٢]

---

١ — فتح اسلام، ص ٩.

٢ — اعترض عليه بأنه قرر نزول المسيح فى كتابه «براهين أحديه» فاعتذر أنه ذكر ذلك كعقيدة إسلامية مشهورة يؤمن بها أكثر المسلمين، ولم يكن قد تلق بعد إلهاماً فى ذلك وإرشاداً من الله، فكان ذلك إتباعاً للآثار المروية قبل انكشاف الحقيقة (ازالة اوهام ص ٩٧). ويقول فى براهين أحديه ج ٥ «بقيت عينى مطبقة حتى فتحها الله» ص ٨٥.

المشاكل وحلولها: ولا يزال نورالدين يلفته ويسترعى انتباهه إلى المشاكل العلمية التى تعترض السالك فى هــذا الطريق الوعر ويوحى إليه كيف يتغلب عليها، وكيف يقنع المسلمين بانطباق صفة المسيح الموعود على المرزا غلام أحمد. وهنا مثال طريف لهذه الحلول والتوجيهات.

تفسير دمشق: لقد جاء فى أحاديث النزول أن المسيح ينزل فى دمشق[١] فكيف التطبيق والمسافة بين دمشق وقاديان بعيدة، والفرق بينهما واضح جلى؟ ولعل المرزا نفسه لم يكن متنبها لهذا الاشكال، فنبهه نورالدين.

وندع المرزا يتحدث بنفسه عن الحادثة، ونسمعه يشرح كلمة دمشق التى جاءت فى الأحاديث التى يؤسس عليها دعوته ودعواه، يقول فى كتابه «إزالة اوهام»:

«إن هذا العاجز لم يكن قد عُنى بالبحث فى موضوع دمشق ومعناه بعد، إذ زارنى صديق لى ومحب مخلص الأستاذ نورالدين فى قاديان، وطلب منى أن أتوجه إلى الله تعالى فى فهم معنى دمشق، والكلمات المجملة التى وردت فى روايات مسلم (بن الحجاج القشيرى)

١ ــ توضيح مرام، ص ٢.

وأن يكشفها الله على ، ولما كنت مريضاً منحرف الصحة لا أتحمل العناء وإجهاد الفكر لم استطع الالتفات إلى تحقيق هذه الأغراض كلها ولكن انكشف لى معنى كلمة واحدة وهى «دمشق» بما بذلته من عناء قليل»[1]

«فليعلم الاخوان أن الله اطلعنى – فى ما يتصل بكلمة دمشق – على أن المسمى بهذا الاسم – دمشق – قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية، وهم أتباع يزيد الخبيث (كذا فى الأصل) فى عاداته وأفكاره، الذين قلوبهم متجردة عن حب الله ورسوله، وليس عندهم احترام للاحكام الالهية، الذين اتخذوا إلههم هواهم، وانقادوا لنفوسهم الأمّارة حتى هانت عليهم إراقة دماء المقدسين الأزكياء. الذين لا يؤمنون بالآخرة، وتعقد عليهم وجود الله تبارك وتعالى وأعيام فهمه، ولما كان من شأن الطبيب أن يأتى إلى المرضى، وجب أن يكون نزول المسيح فى أمثال هؤلاء».

«يدل نزول المسيح فى دمشق دلالة واضحة على أن رجلا يجمع بين مماثلتــه للمسيح، ومشابهته بالحسين (بن على رضى الله عنهما) سينزل لتعنيف اليزيديين الذين هم مماثلون لليهود ولالزامهم الحجة».[2]

---

١ – ازالة اوهام، ص ٣٢ – ٣٣ .

٢ – ايضاً، ص ٣٣ – ٣٤ .

«إن كلمة دمشق إنما استعملت استعارة»[١]

ويقول فى محل آخر:

«إن قرية قاديان مشابهــة بدمشق، فأنزلنى الله لأمر عظيم فى دمشق هذه بطرف شرقى عند المنارة البيضاء من المسجد الذى من دخله كان آمنا، فتبارك الذى أنزلنى فى هذا المقام».[٢]

الرداءان الأصفران

ويظهر المرزا فى مظهر محام داهية جسور ألزم نفسه الدفاع عن قضيــة واهيــة ضعيفة، فهو لا يتوقى التنطع والتشقيق والتعسف والوقاحـة—ومعذرتى من شدة هذه الكلمة— ليكسب قضيته، ومن أمثلة هذا الدفاع والاحتجاج:

لقد اعترض عليه خصومه بأن أحاديث النزول التى يحتج بها ويؤسس عليها دعوته ودعواه أنه هو المسيح الموعود، قد جاء فيها أن المسيح ينزل وعليه رداءان أصفران، فقال:

«المراد بالرداء الأصفر العلة، وقد جاء فى الحديث أن المسيح ينزل وعليـه رداءان اصفران وهـذا شأنى، فاننى أعانى علتين إحداهما فى مقدم جسمى وهو الدوار الشديد الذى قد أخر به على

١ — ص ٢٤ المصدر.   ٢ — ص ٦٨.

الأرض ويضعف دوران الدم فى القلب وأخاف به على نفسى، والعلة الثانية فى أسفل الجسم وهى كثرة البول التى تسمى «الذيابطس» والذين يرفضوننى يؤمنون بأن المسيح يحمل هذه الآية من السماء وهى علتان إحداهما فى مقدم الجسم والأخرى فى مؤخره».[1]

ويقول فى محل آخر:

«إننى أعانى علتين من مدة طويلة، إحداهما الصداع الشديد الذى أعالج منه الشدة والكرب والأهوال الشديدة، وقد زال وبقى الدوار الذى ينتابنى بعض الأحيان، وذلك لئلا يقع الخلل فى نبوءة الردائين الأصفرين، والعلة الثانية مرض السكر الذى أعانيه منذ عشرين سنة».[2]

المنارة الشرقية: أما المنارة الشرقية التى أتعبته كثيراً فقد أراد أن يتغلب على مشكلتها ببناء منارة فى شرق قاديان، وقرر ذلك فى سنة ١٩٠٠م كما فى «سيرة المهدى»[3] وفتح الاكتتاب لذلك وحث على الاعانات[4] ووضع أساسها عام ١٩٠٣م، وتم هذا المشروع

١ — براهين أحمديه، ص ٢٠١.

٢ — ج ٢ ص ١٥٣.

٣ — انظر ضميمه خطبة الهاميه ص ١.

٤ — سيرة المهدى، ج ٢ ص ١٥٤.

بعد وفاته فى حياة نجله المرزا بشيرالدين محمود .

حدة وتهكم: ونراه فى هذه الكتب الثلاثة «فتح إسلام، توضيح مرام، وإزالة أوهام» تعتريه حـــدة شديدة فى مقارعة الخصوم والاحتجاج عليهم ويلتجأ كثيرا إلى السخرية والاستهزاء، فيسخر من عقيدة حياة المسيح ونزوله من السماء ويتهكم لمن يؤمن بهـا من العلماء فى أسلوب أقرب إلى أسلوب الندماء المتندرين منه إلى أسلوب العلماء الباحثين والدعاة المثقفين.[1] ويعتمـــد كعادته على الالهامات والمنامات، ويستدل ـ شأن الباطنية ـ بحساب الجمل والأعداد،[2] ويسترسل فى تأويل الآيات والنبوءات والكلمات الواردة فى الأحاديث، ويعتبرها كلها مجازات واستعارات. ويحكى فى ذلك الباطنية الأولين الذين كانوا يتطرفون فى تأويل المصطلحات الدينية والكلمات الشرعية المتواتر لفظها ومعناها ومفاهيمها، ويتوصلون بذلك إلى فتح باب الالحاد والفساد والفوضى على مصراعيه والعبث بالدين وبعقول الناس، ويصرح بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم تتضح له حقيقة ابن مريم والدجال الكاملة، وقد ألقى الله عليه علما إجماليا

---

١ ــ أنظر ص ٢٠ - ٢١ من إزالة اوهام .

٢ ــ المصدر، ص ٣٣٨ .

فى ذلك.[١]

قبر المسيح فى كشمير: ولم يزل يجول ويبدأ ويعيد فى موضوع وفاة المسيح حتى قرر أخيراً بأنه توفى فى كشمير ودفن هنالك. وأتى فى هذا البحث بالعجائب كعادته، فقرر أن كشمير ينطق بها فى اللغة الكشميرية «كشير» ويظهر أن هذه الكلمة فى الأصل عبرية مركبة من الكاف التى للمماثلة والتشبيه، و «أشير» التى معناها فى العبرية الشام يعنى مثل الشام. ولما هاجر عيسى عليه السلام من فلسطين إلى كشمير — التى تشبه بلاد الشام كثيرا فى طيب المناخ وبرودة الطقس — سماها الله تعالى كشمير تسلية لعيسى بن مريم وإدخال السرور عليه. وسقطت الألف بكثرة الاستعمال وأصبحت كشمير.[٢]

ثم قرر أن القبر المشهور بقبر بوذاسف فى حارة خان يار هو قبر المسيح عليه السلام الذى هاجر إلى كشمير قبل ألفى سنة، وكان يعرف بالنبى ابن الملك. واستمر فى تفصيل هذه النادرة وتطبيق اسم بوذاسف وقبره على المسيح عليه السلام فى أسلوب خيالى يدل على براعته فى التطرف وثقته ببساطة قرائه وإيمانهم بكل ما يقول.[٣]

---

١ — ازالة اوهام، ص ٣٤٦.
٢ — براهين أحمديه، ص ٢٢٧.
٣ — براهين أحمديه، ص ٢٢٨.

وقد جاء فى رسالة وجهها إلى بلاد العرب وأنشأها بالعربية: «ثم مات و دفن فى أرض قريبة من هذه الأقطار، وقبره موجود فى سرى نكر الكشمير إلى هذا الزمان، ومشهور بين العوام والخواص والأعيان، ويزار ويتبرك به، فاسئل أهلها العارفين إن كنت من المرتابين».[1]

ونترك المرزا فى هذه المرحلة وقد حمل راية «المسيح الموعود» وهو يتهيأ لمنزلة أسمى من هذه المنزلة وهى منزلة النبوة، وقد بذر بذورها فى كتبه وهيأ لها الجو والنف وله رجال يؤمنون بكل ما يصدر عن هذا الرجل، ويصفقون له بحماسة وإخلاص.



---

١ ـــ الرسالة العربية، ص ٢٢.

الفصل الثالث

﴿من المسيحية إلى النبوة، فما فوقها﴾

خطة مرسومة: قلنا فى نهاية الفصل السابق أن المرزا قد بذر بذور «النبوة» فى كتبه وهيأ لها الجو، والذى يطالع مؤلفاته من «براهين أحمدية» إلى «ازالة أوهام» — وبينهما مؤلفات ورسائل كثيرة — يشعر بأن الرجل كان بعيد النظر وكان لبقا فى إبداء فكرته، وقد يشعر بأن الخطة كانت مرسومة من أول يوم، وأنه كان يمشى خطوة خطوة، وينتقل من مرحلة إلى مرحلة، فنراه يتكلم عن الالهام والعلم الباطنى والعلم اليقينى كمنزلة طبيعية يصل إليها الانسان بلزوم متابعة النبى صلى الله عليه وسلم والاضمحلال فيه. ويتكلم عن صفات النبوة وخصائصها — من غير أن يصرح بكلمة «النبوة» و «النبى» الذى يجمع هذه الخصائص والصفات — وحصول ذلك لأفراد الأمة على طريق التبعية والوساطة. ولم تكن النتيجة الطبعية لهذا المنطق ولهذه المقدمات إلا أن يدعى المرزا غلام أحمد النبوة ويصرح بها فى يوم من الأيام. ولعله كان يدرس

الأحوال ويتأكد من وجود المحيط المناسب لهذه «الدعوى» الكبيرة التى تحدث الضجة العظيمة فى المجتمع الاسلامى، ويستوثق من وجود الايمان الراسخ فى قلوب أتباعه وتصديقهم لكل ما يقول.

إعلان وتصريح: وقد حدث الحادث المرتقب عام ١٩٠٠م، فقد ألقى الشيخ عبدالكريم[1] خطبة الجمعة، ذكر فيها أن المرزا غلام أحمد مرسل من الله، والايمان به واجب، والذى يؤمن بالأنبياء، ولا يؤمن به يفرق بين الرسل، ويخالف قوله تعالى فى وصف المؤمنين «لا نفرق بين أحد من رسله».

أثارت هذه الخطبة نقاشا بين الرجال الذين آمنوا بالمرزا كولى ومجدد ومهدى معهود ومسيح موعود، وكانت مفاجأة لهم آلمت بعضهم وأدهشت الآخرين. وكان فى مقدمة المنكرين الشيخ محمد أحسن الأمروهى،[2] فعاد المولوى عبدالكريم، وألقى خطبة أخرى فى هذا المعنى فى الجمعة الثانية والتفت إلى المرزا وقال له:

---

١ — هو الذى يلى نورالدين فى التقدم والأهمية، وكان المرزا يقول إنه ونورالدين جناحان يطير بهما، كان خطيب الجمعة وإمام الصلوات وكاتب السر، وكان شديد الحب للمرزا. مات فى مرض السرطان فى حياة المرزا. ولم يعده مع شدة حرصه على ذلك وحنينه (سيرة المهدى ج ١، ص ٢٧١).

٢ — كان من كبار أتباع المرزا غلام أحمد والمدافعين عنه، كان موظفا فى بهوپال وعزل وبايع المرزا، وحث المرزا أتباعه على جمع الاعانات له، وخالف المرزا بشيرالدين فى بعض عقائده وعارضه.

«أنا أعتقد أنك نبي ورسول، فإن كنت مخطئا نبهني عـــلى ذلك» ولما انتهوا من الصلاة وهم المرزا بالانصراف أمسك المولوى عبدالكريم بذيله وطلب منه الحكم، فأقبل إليه المرزا وقال: «هذا الذى أدين به وأدعيه» وأقلق ذلك الشيخ محمـــد أحسن، وجعل يناقش المولوى عبدالكريم وارتفع صوتهما، فخرج المرزا من بيته وقال «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى»

وندع المرزا بشيرالدين محمود نجل المرزا الأكبر يشرح هـذا الانتقال «من المسيحية إلى النبوة»، الذى قد أصبح طبعيا وجاء فى أوانه بعـــد هذه التمهيدات والمقدمات التى علمناها فى الفصول السابقة. وصاحب البيت أدرى بما فيه، يقول فى كتابه «حقيقة النبوة»:

«وبالجملة كان سيدنا المسيح الموعود يعتقد فى بداية الأمر أن كلمة النبي تطلق على رجل يأتى بشريعـــة جديدة أو ينسخ بعض الأحكام أو يكون نبيا بلاواسطة. لذلك كان — رغم أن جميع الشروط التى تشترط للنبي كانت موفورة فيـــه — يأبى أن يتسمى

---

١ — محاضرة السيد سرور شاه القاديانى صحيفـة الفضل القاديانية عـدد ٥١ مجلد ١٠ ٤ يناير ١٩٢٣ م.

بالنبي، ومع أنه كان يدعى جميع الخصال التى يتصف بها الانسان بالنبوة ولكنه لاعتقاده أنها شروط المحــدث لا شروط النبي، كان يسمى نفسه المحدث، ولم يكن يشعر أنه يصف نفسه بصفات لا توجد فى غير الأنبياء ثم ينكر النبوة، ولكن لما فطن أن وصفه لنفسه وكيفية دعواه لا تنطبق على المحدثية، إنما تنطبق على النبوة، أعلن نبوته فى صراحة»[1]

وسواء كان يمتنع من إدعاء النبوة — فى صراحة ووضوح — لاعتقاده أن النبوة تستلزم الاتيان بشريعــة جديدة ونسخ بعض الأحكام السابقة، وأن تكون مباشرة من غير واسطة حتى ألهمه الله الصواب وشرح صدره لادعاء النبوة أو أمر بذلك من الله — على حد تعبيره، أو كان يمتنع عن ذلك لأن الوقت لم يحن بعد، والزرع لم يولغ ولم يبلغ الحصاد، فلا شك أنه وصل بعد قطع هذه المراحل إلى النتيجة الطبعية اللازمة.

تصريحات وتحديات: ومن عام ١٩٠١ — كما يقول المرزا بشير الدين محمود — استقر الأمر على ذلك وبدأ يصرح به فى

---

١ — حقيقة النبوة، ص ١٢٤.

مؤلفاته[1] والرسائل التى أصدرها باسم «الأربعين» — وكان قد وعد قراءه أنها ستبلغ أربعين رسالة، ثم عدل عن الفكرة واقتصر على الأربعة «تأسيا بالله تعالى فى إبدال خمسين صلاة بخمس» —[2] طافحة بالتحديات السافرة والاعلانات الصارخة عن منصبه الجديد .

وازداد صراحة وتحديا فى الأعوام المقبلة، وقد ألف رسالة عام ١٩٠٢[3] أسماها «تحفة الندوة» وجهها إلى أعضاء ندوة العلماء، قال فى الصفحة الأولى منها وهى بالعربية، ومعذرتى إلى إخوانى العرب من هذه العربية الهندية التى حاول فيها المؤلف — فى عبث — أن يقلد الحريرى أو يحكى الصحف السماوية :

«أيها الناس . عندى شهادة من الله فهل أنتم تؤمنون . أيها الناس عندى شهادات من الله فهل أنتم تسلمون . وإن تعدوا شهادات الله لا تحصوها ، فاتقوا الله أيها المستعجلون . أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون . إنا نُصرنا

---

١ — حقيقة النبوة ، ص ١٢٤ .

٢ — الأربعين ، رقم ٤ ، ص ١٤ .

٣ — سيرة المهدى ، ج ٢ ، ص ١٥٣ .

من ربنا ولا تنصرون من الله أيها الخائنون. أ قتلتمونى بفتاوى القتل أو دعاوى رفعتموها إلى الحكام ثم لا تندمون. كتب الله لاغلبن أنا ورسلى، ولن تعجزوا الله أيها المحاربون».[1]

ويقول فى هذه الرسالة فى لغة صريحة مكشوفة وأسلوب سافر:

«فكما ذكرت مراراً أن هذا الكلام الذى أتلوه هو كلام الله بطريق القطع واليقين كالقرآن والتوراة وأنا نبى ظلى[2] وبروزى[3] من أنبياء الله ويجب على كل مسلم إطاعتى فى الأمور الدينية[4] ويجب على كل مسلم أن يؤمن بأنى المسيح الموعود. وكل من بلغته دعوتى فلم يحكمنى، ولم يؤمن بأنى المسيح الموعود، ولم يؤمن بأن الوحى الذى ينزل على من الله، هو مسئول ومحاسب فى السماء وإن كان مسلما، لأنه قد رفض الأمر الذى وجب عليه قبوله فى وقته. إنى لا أقتصر على قولى أنى لو كنت كاذبا لهلكت، بل أضيف إلى ذلك أنى صادق كموسى وعيسى وداؤد ومحمد صلى الله

---

١ — تحفة الندوة.

٢ — وشرحه المرزا بقوله: «أنا مرآة انعكست فيها الصورة المحمدية والنبوة المحمدية بتمامها» (نزول المسيح ص ٣).

٣ — وشرحه المرزا بقوله: انعكست الكمالات المحمدية كلها مع النبوة المحمدية فى لون البروز فى مرآة ظلى (ايك غلطى كا ازاله)

٤ — لئلا يتصادم مع طاعة الحكومة الانجليزية. — (المؤلف)

عليه وسلم، وقد أنزل الله لتصديق آيات سماوية تربى على عشرة آلاف، وقد شهد لى القرآن، وشهد لى الرسول، وقد عين الأنبياء زمان بعثتى وذلك هو عصرنا هذا، والقرآن يعين عصرى، وقد شهدت لى السماء والأرض وما من نبي إلا وقد شهد لى».[1]

وقال فى كتاب «حقيقة الوحى»:

«لقد حُرم الذين سبقونى من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الكبير من هذه النعمة (يعنى الالهامات والمكالمة الالهية) ولذلك خصنى الله باسم النبى، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم».[2]

وكتبه بعد ذلك طافحة بمثل هذه العبارات والتحديات، ومن أراد التوسع فى هذا الموضوع فليقرأ كتاب «حقيقة الوحى» للمرزا غلام أحمد، و «حقيقة النبوة» لنجله والخليفة الثانى المرزا بشيرالدين محمود.

نبوة مستقلة: وقد جاء فى مؤلفاته ما يدل على أنه كان مقتنعا بأنه نبي مستقل صاحب شريعة وأمر ونهى، فقد ذكر فى كتاب

---

١ ــ تحفة الندوه، ص ٤ .

٢ ــ حقيقة الوحى، ص ٣٩١ .

الأربعين» أن النبي التشريعي هو الذى يشتمل وحيه على أمر ونهى، وإن كان هذا الأمر والنهى قد تقدما فى كتاب نبي سابق، ولا يشترط لنبي صاحب شريعة أن يأتى بأحكام جديدة.[1]

ثم يطبق ذلك على نفسه ويقول: إن وحيي يشتمل على الأمر والنهى، مثلا ألهمت من الله «قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم، ذلك أزكى لهم» وذكرت ذلك فى «براهين أحمدية» وقد اشتملت هذه الآية على أمر ونهى، ومضى على ذلك ثلاث وعشرون سنة واستمر الوحى وفيه الأوامر والنواهي. فان قال قائل: إن المراد بالشريعة الشريعة التى تشتمل على أحكام جديدة، انتقض هذا القول، لأن الله يقول: «إن هذا لفى الصحف الأولى صحف ابراهيم و موسى».[2]

ونسخه للجهاد الذى شرعه الله وأمر به الرسول وإنكاره لذلك بكل صراحة وقوة دليل على أنه كان يعتقد أنه نبي صاحب شريعة وأمر ونهى يستطيع أن ينسخ شريعة القرآن، ويستلزم ذلك التشريع المستقل، بل يعتقد ويعلن «أن الروضة الانسانية كانت

---

١ — رقم ٤، ص ٦.

٢ — الأربعين رقم ٤، ص ٦.

لا تزال ناقصة وقد تمت بأوراقها وأثمارها بقدومه»[١]

تكفير من لا يؤمن بهذه النبوة: وكانت نتيجـة دعوى النبوة الطبعية والمنطقية تكفير جميع من لا يؤمن بهذه النبوة الجديدة. وقد قال فى الجزء الخامس من براهين أحمديه «ستوسس جماعة وينفخ الله الصور بفمه لتأييدها، وينجذب إلى هذا الصوت كل سعيد ولا يبق إلا الأشقياء الذين حقت عليهم الضلالة وخلقوا ليملأوا جهنم».[٢]

وقد جاء فى إلهام له نشره فى اليوم الخامس والعشرين من شهر مايو سنة ١٩٠٠م: «الذى لا يتبعك ولا يدخل فى بيعتك ويبق مخالفاً لك عاص لله ولرسوله وجهنمى».[٣]

وقال فى ما نقله الدكتور عبدالحكيم: «إن الله كشف على أن كل من بلغته دعوتى ولم يقبلنى ليس بمسلم».[٤]

وبذلك تدين الديانة القاديانيـة الرسمية (التى يتزعمها المرزا بشيرالدين محمود ابن المؤسس). يقول فى كتابه «آئينة صداقت»

---

١ — براهين أحمدية، ج ٥، ص ١١٣ .

٢ — ص ٨٢ .

٣ — معيار الأخيار، ص ٨ .

٤ — صحيفة الفضل «القاديانية» ١٥ يناير ١٩٣٥ م .

أن كل مسلم لم يدخل فى بيعة المسيح الموعود سواءاً سمع باسمه أو لم يسمع كافر وخارج من دائرة الاسلام». [1] وبذلك صرح أمام المحكمة، وتصريحاتهم فى ذلك أكثر من أن تحصى، وعلى هذا الأساس يعاملون المسلمين فى باكستان. فلا يصاهرونهم [2] ولا يصلون خلفهم [3] ولا يصلون على أمواتهم. [4] ويعتقدون أن الحج الذى أدى قبل القاديانية حج باطل. [5] وهذه كلها نتائج النبوة الجديدة وطبيعتها.

التناسخ والحلول: وفى عبارات المرزا ما يدل على عقيدة التناسخ والحلول، وعلى أن الأنبياء كانت تتناسخ أرواحهم ويتقمص روح بعضهم وحقيقتهم جسدَ بعضهم وتظهر فى مظهر الآخر. وقد جاء فى «ترياق القلوب»:

«إن مراتب الوجود دائرة، وقد ولد إبراهيم بعادته وفطرته ومشابهته القلبية، بعد وفاته بنحو ألفى سنة وخمسين فى بيت عبدالله

---

١ — ص ٣٥ .

٢ — كتاب بركات خلافت، ص ٧٣ و ٧٥ .

٣ — قد نهى عن ذلك غلام أحمد نفسه. «الأربعين» رقم ٣، ص ٣٤ .

٤ — وقد طبقه مر ظفرالله خان بكل دقة حتى لم يصل على المستر محمد على جناح مؤسس باكستان.

٥ — «الحكم» القاديانية، مجلد ٣٧ عدد ١٦، ٧ مايو ١٩٣٤ .

بن عبدالمطلب وسمى بمحمد صلى الله عليه وسلم». [١]

ويقول في كتاب آخر: «وتحل الحقيقة المحمدية وتتجلى في متبع كامل..... وقد مضى مئات من الأفراد تحققت فيهم الحقيقة المحمدية، وكانوا يسمون عند الله عن طريق الظل محمداً وأحمد». [٢]

ويقول: «إن الله أرسل رجلا كان أنموذجاً لروحانية عيسى وقد ظهر في مظهره وسمى المسيح الموعود، لأن الحقيقة العيسوية قد حلت فيه، ومعنى ذلك أن الحقيقة العيسوية قد اتحدت به». [٣]

بعثتان للنبي: ويعتقد ويعلن أن للنبي صلى الله عليه وسلم بعثتين. يقول في «الخطبة الالهامية»:

«واعلم أن نبينا صلى الله عليه وسلم كما بعث في الألف الخامس كذلك بعث في آخر الألف السادس باتخاذ بروز المسيح الموعود». [٤]

إلى أن يقول: «بل الحق أن روحانيته عليه السلام كان في آخر الألف السادس — أعني في هذه الأيام — أشد وأقوى وأكمل من

---

١ — ص ١٥٥ .

٢ — آئينة كمالات إسلام، ص ٣٤٦ .

٣ — المصدر ص ٣٤٤ .

٤ — ص ١٨٠ .

تلك الأعوام بل كالبدر التام، ولذلك لا تحتاج إلى الحسام ولا إلى حزب من المحاربين».[1]

التفوق على الأنبياء: ولم يقتصر المرزا على التنبوء بل جاء فى كتبه وكلامه ما يشعر بتفوقه على أكثر الأنبياء وجمعه لما تفرق فى أنبياء كثيرين، وقد جاء فى الجزء الخامس من «براهين أحمدية»:

«لقد أعطيت نصيبا من جميع الحوادث والصفات التى كانت لجميع الأنبياء سواءاً كانوا من بنى اسرائيل أو من بنى إسماعيل، وما من نبي إلا أوتيت قسطاً من أحواله أو حوادثه».[2] ويقول: «لقد أراد الله أن يتمثل جميع الأنبياء والمرسلين فى شخص رجل واحد وإنى ذلك الرجل».[3]

بل قد جاء فى كلامه ما يصرح بتفوقه على النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه يعتقد أن روحانية النبي صلى الله عليه وسلم إنما تجلت فى عصره بصفات إجمالية، ولم تكن الروحانيات قد بلغت غايتها وأوجها بعد فى ذلك «العهد القاصر» بل كانت الخطوة الأولى فى

١ــ ص ١٨١ ـ ١٨٢ .
٢ ــ ص ٨٩ .
٣ ــ المصدر ص ٩٠ .

سبيل ارتقائها وكمالها، ثم تجلت هذه الروحانية فى القرن العشرين فى شخص غلام أحمـــد فى أبهى حللها وأرقى مظاهرها. وهنا نص عبارته، بعربيته التى يسميها «الخطبة الالهامية»:

«فكذلك طلعت روحانية نبينا صلى الله عليه وسلم فى الألف الخامس[1] باجمال صفاتها، وما كان ذلك الزمان منتهى ترقياتها، بل كانت قدماً أولى لمعارج كمالاتها، ثم كملت وتجلت تلك الروحانية فى آخر الألف السادس أعنى فى هذا الحين، كما خلق آدم فى آخر اليوم السادس باذن الله أحسن الخالقين، واتخذت روحانية نبينا خير الرسل مظهراً من أمته لتبلغ كمال ظهورها وغلبة نورها، كما كان وعـــد الله فى الكتاب المبين، فأنا ذلك المظهر الموعود والنور المعهود».[2]

وينشد متطاولا على النبى صلى الله عليه وسلم:

له خسف القمر المنير، وإن لى ۞ غسا القمران المشرقان، أ تنكر؟[3]

---

١ — عمر الدنيا عنده سبعة الآف سنة والقرن السادس المسيحى الذى بعث فيه النبى صلى الله عليه وسلم من الألف الخامس والقرن التاسع عشر أو العشرون الذى هو عصر المرزا غلام أحمد هو من الألف السادس.

٢ — الخطبة الالهامية، ص ١٧٧ - ١٧٨.

٣ — إعجاز أحمدى، ص ٧١.

وقد جاء فى ملحق حقيقة الوحى «وآتانى ما لم يؤت أحداً من العالمين».[١]

لقد كان هذا أساساً صالحاً يرفع عليه الخلفاء بناءاً شامخاً — شأن الطوائف والنحل — ويصبح كثير منهم يفضلونه على أكثر الأنبياء بصراحة وما تخفى صدورهم أكبر. فقد جاء فى «حقيقة النبوة» للمرزا بشير الدين محمود الخليفة الثانى: «إن غلام أحمد أفضل من بعض أولى العزم من الرسل».[٢] وفى صحيفة الفضل «إنه كان أفضل من كثير من الأنبياء ويجوز أن يكون أفضل من جميع الأنبياء».[٣]

تطرفاته : وازداد المرزا تطرفاً فى الدعاوى، فادعى أنه عين محمد صلى الله عليه وسلم.[٤] ومن أقواله المأثورة: «من فرق بينى وبين المصطفى فما عرفنى وما رأى».[٥]

وادعى أنه مظهر لكرشن وأنه برز فيه و تجلى. ومما ادعى أنه

---

١ — ص ٨٧ .

٢ — ص ٢٥٧ .

٣ — المجلد الرابع عشر عدد ٢٩١، ابريل سنة ١٩٢٧م .

٤ — نزول المسيح، ص ٣ على الهامش .

٥ — الخطبة الالهامية، ص ١٧١ .

ألهمه الله: «أنت منى بمنزلة ولدى».[١] وخاطبه الله مرة بقوله «إسمع ولدى»،[٢] «يا قمر يا شمس، أنت منى وأنا منك»،[٣] «أنت منى وأنا منك، ظهورك ظهورى»،[٤] «أنت من مائنا وهم من فشل»،[٥] «يحمدك الله من عرشه ويمشى إليك».[٦]

ولقد اقتصرنا على الالهامات التى نزلت بالعربية حتى لا نتهم بالتقصير أو الخيانة فى الترجمة. ومنها إلهامات يخجل القلم عن سطرها ويتلعثم اللسان فى ذكرها من غرو ما يخص الجنسين — الذكر والأنثى — إلى الله تعالى. وقد ذكر أن الله أراد أن يوقع مرة على صحيفة فنضح الحبر الأحمر من القلم وبقى أثره على قميص المرزا.[٧]



---

١ — حقيقة الوحي، ص ٨٦ .
٢ — البشرى، المجلد الأول، ص ٤٩
٣ — حقيقة الوحى ص ٧٤ .
٤ — التذكره ص ٦٥٠ .
٥ — انجام آتهم، ص ٥٥ .
٦ — انجام آتهم، ص ٥٥ .
٧ — ترياق القلوب ص ٣٣ وحقيقة الوحى ص ٢٥٥ .

الباب الثالث

القادياني في الميزان

الفصل الأول

﴿ حياته ومعيشته ﴾

في فجر الحياة: لقد بدأ المرزا غلام أحمد حياته في شظف من العيش وبؤس وفقر لا يطمع في جنيه شهريا. ولا يهمه بعد وفاة أبيه إلا خبزه ومائدته، كما صرح بنفسه،[1] لا يلفت نظراً ولا يسترعي انتباهاً، يعيش في الخمول والفقر خمسا وعشرين سنة[2] كأنه دفين مجهول في قبر مجهول،[3] حتى ظهر كمؤلف ومدافع عن الاسلام، ثم كداعية وزعيم روحي، ثم في مظهر «المسيح الموعود»، ثم في المظهر الأخير الذي تحدثنا عنه في الفصول السابقة. فدوت له البلاد وطنت حصاته وأقبلت عليه الدنيا وانهالت عليه الهدايا، وأغدقت

---

١ — نزول المسيح، ص ١١٨.

٢ — براهين أحمديه، ج ٥، ص ٥٩.

٣ — تتمة حقيقة الوحي، ص ٢٨.

عليــه الأموال. وكان كل ذلك — كما لا يخفى — عن طريق الدين والزعامة الدينية، وبعاطفة دينية ومن جيوب الفقراء وأوساط الناس. فما كان موقفه إزاء هـذه الفتوح وهذه الأموال، وكيف كان بعد ما أقبلت الدنيا عليه؟

أسوة الدعاة ورجال الدين فى الاسلام: لقـــد رأينا الدعاة المخلصين وعباد الله الصالحين من أتباع الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم فى كل قرن من قرون الاسلام وفى كل دور من أدوار تاريخ الدعوة والجهاد، لم يزدهم إقبال الدنيا عليهم إلا زهادة وفقراً وإيثاراً للآخرة. وكان شعارهم فى حياتهم مقالة نبيهم صلى الله عليه وسلم: «اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة»،[1] وقوله عليه الصلاة والسلام: «ما لى وللدنيا، وما أنا والدنيا، إنما أنا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها».[2] ومنهم من لم تمل به الدنيا عن الزهد والقناعة والتقشف فى الحياة، ولم تستهوه غنائم القارتين إفريقية وآسيا، وخزائن الامبراطورين كسرى وقيصر، «يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة

---

١ — رواه البخارى.

٢ — رواه أحمد والترمذى.

طويل الفكرة يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب.[١] ويتجمل التاريخ الانسانى بأخبار زهد عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، وتقشف صلاح الدين الأيوبى، وناصرالدين محمود، واورنكزيب عالمگير من الملوك الكبار، فضلا عن زهاد هذه الأمة. وقد كان فى عصر المرزا غلام أحمد — العصر الأخير — من الدعاة والعلماء والشيوخ من تأتيه الأموال الطائلة والهدايا الكثيرة فيقسمها على الفقراء والمساكين ويجتزىء بطعام جشب أو خبز قفار. ومنهم من لا يطيق النوم إذا كان فى بيته فضل من مال أو بقية من ذهب وفضة. وأسماؤهم أكثر من أن تحصى وأخبارهم أعظم من أن تستقصى.[٢]

من دلائل النبوة: وكانت هذه الحياة الزاهدة وكانت هذه الاستقامة ووحدة الحياة فى الفقر والغنى، والضعف والقوة برهانا على صدق النبوة المحمدية عند المرزا غلام أحمد نفسه، يقول فى «براهين أحمديه»:

١ — من وصف أميرالمؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه «صفة الصفوة» لابن الجوزى.

٢ — اقرأ الجزء الثامن من نزهة الخواطر للسيد عبد الحى الحسنى طبع دائرة المعارف حيدرآباد.

«ولما انتصر الاسلام بعد مدة مديدة وكان الاسلام فى إقبال وتقدم، لم يقتن رسول الله مالا ولم يدخر كنزاً، ولم يرفع بناءاً ولم يشد قصراً، ولم يمل إلى ترف أو بذخ، ولم ينتفع بما آتاه الله من مال أو جاه، بل أنفق كل ما جاءه على اليتامى والمساكين والأيامى والمديونين وماشبع من طعام قط».[٣]

صاحب دعوة أو زعيم سياسى؟: ونرجع ونحن نحمل هذا المصباح الذى أعطانا المرزا نفسه وندخل فى حياته بعد انتشار دعوته ونفاذ كلمته فنرى فرقا واسعا بين حياته الأولى وبين حياته الآخرة، ونراه أشبه بالزعماء السياسيين منهم بأصحاب الدعوة الدينية فضلا عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم وتلاميذه فضلا عن الأنبياء والمرسلين حتى يثير ذلك نقاشا بين صفوة أصحابه وتلاميذ دعوته.

الحياة المنزلية: هذا هو الخواجه كمال الدين الداعية الاسلامى المشهور الذى عرفته اوربا يشكو بثه وحزنه إلى صديقيه الأستاذ محمد علـى اللاهورى أمير الجماعة الأحمدية اللاهورية والشيخ سرور شاه القاديانى وهم فى رحلة:

٣ — ج ١ ص ١١٧.

«كنا نحث نسائنا وبناتنا على اقتداء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ونسائه فى الزهد والقناعة، فانهم كانوا يلبسون الخشن ويأكلون الجشب ويوفرون من أموالهم ما كانوا ينفقونه فى مصالح المسلمين. وكنا بهذه المواعظ والتحريضات نقتطع من أموالنا ما نرسله إلى قاديان، ولكن لما سافرت أزواجنا وبناتنا إلى قاديان، وبقين هناك مدة يرين كيف تعيش السيدات هناك، ثرن علينا وكذبننا، وقلن: لقد رأينا كيف يعيش النبي وأصحابه وزوجاته فى قاديان، إن النعيم الذى يعيشون فيه، وإن البذخ الذى يسود هناك لا نتمتع به ولا يبلغ عيشنا معشاره، مع أن أموالنا من كسب أيدينا وما يأتيهم من المال هو للأمة وللأغراض الاجتماعية، وأنتم خدعتمونا وكذبتم علينا، ولكننا لا ننخدع بعد اليوم. وقد منعن المال الذى كن يعطين إياه لنرسله إلى قاديان».[1]

وذكر الخواجه كمال الدين بعض القماش والحلى الذى اشتراه المرزا لزوجه وبناته.[2]

واعترض الدكتور عبد الحكيم – وهو قاديانى يومئذ – على

---

١ – كشف الاختلاف للشيخ سرور شاه القاديانى ص ١٣.
٢ – أيضاً.

تصرفات المرزا الحرة فى أموال المسلمين، وذكر أنه يكتتب ويجمع الاعانات لطبع الكتب ويستحصل الأموال من أتباعه بأنواع من الحيل وينفقها كيف يشاء.[١]

حياة مترفة: وقد قال الخواجه كمال الدين مرة لمحمد على «إن من الظلم المبين أن هذا المال الذى يكتسبه فقراء المسلمين بكد اليمين وعرق الجبين ويشحون به على نفوسهم وبطونهم لينفق فى المصلحة الاجتماعية يضيع فى الشهوات والأغراض».[٢]

جاءت المرزا فى اليوم الأخير من حياته، رسالة من الأستاذ محمد على — مترجم القرآن بالانجليزية — يسأل فيها عن المال الكبير الذى يجبى ولا ينفق منه على الضيوف والمطبخ العام إلا القليل، فغضب المرزا وقال: إنهم يرمونني بأكل السحت وأكل موال المسلمين ما لهم ولهـذه الأموال فانى اذا اعتزلت انقطعت هـذه الأموال وتوقفت الاعانات.[٣]

---

١ — الذكر الحكيم للدكتور عبد الحكيم ص ٣، ٥، ٨، ١٠، ١١، ٢٥، ٤٠، ٤٣، ٨٣، ٨٤.

٢ — كشف الاختلاف ص ١٥.

٣ — رسالة المرزا بشير الدين محمود إلى الحكيم نور الدين فى كتاب حقيقة الاختلاف ص ٥٠.

وقال الخواجه كمال الدين لمحمد على مرة «إن حضرة المرزا يحثنا على التوفير والانفاق فى سبيل الدعوة وهو يعيش فى بذخ وترف». فقال له محمد على: إنى لا أستطيع أن أنكر هذا ولكن لا يلزمنا أن نتبع النبي فى بشريته.[1]

الحياة فى مركز الدعوة «الربوه»: وإذ كان هذا فى حياة مؤسس الدعوة، فما ظنك بعدها؟ لقد أصبحت «قاديان»، وخليفتها «الربوة» إمارة روحية مادية مستقلة يجتمع فيه الاستبداد والاستهتار، والقساوة والدعارة. يعيش فيها «الخليفة»، وخاصته عيش الملوك والأباطرة فى العهد القديم والباباوات فى القرون الوسطى المسيحية. وتصبح هذه الأمارة الروحية ــ التى تأسست على دعوة دينية وزعامة روحية ماخورة واسعة تتحكم فيها الدكتاتورية الدينية والشهوانية العاتية وتشبه قلعة «ألموت» فى عهد الحسن الصباح الاسماعيلى. اكتب هذه السطور فى لاهور وأنا أسمع كل يوم الروايات التى تشبه أساطير ألف ليلة وليلة والقصص التى يندى لها الجبين حياءاً ويحار العقل فى تصديقها وهى من الثقات الذين

---

١ ــ رسالة المرزا بشير الدين محمود إلى الحكيم نور الدين فى حقيقة الاختلاف ص ٥٠ .

لا يشك فى صدقهم وعدلهم ، وقد أصبحت خبراً مشاعا وحديث النوادى[1] ويكفى القارى أن يقرأ كلمة الأستاذ عبدالرحمن المصرى[2] مدير كلية تعليم الاسلام فى قاديان ومن كبار علماء الجماعة القاديانية التى سجلها قاضى محكمة الاستئناف فى لاهور المستر اسكامپ (W. Scamp) فى حكمه الذى أصدره فى يوم ٢٣ من سبتمبر ١٩٣٨م :

« إن الخليفة الحالى المرزا بشيرالدين محمود من كبار الفساق ، إنه يتصيد الفتيات فى ستر من الزعامة الدينية ، وله وكلاء وسماسرة من الرجال والنساء يحضرون له الفتيات الغافلات والشباب الغر وقد أسس لهذا الغرض ناديا سريا ، من أعضائه الرجال والنساء يفسق فيه » .



١ — ومن أراد التوسع فى ذلك فعليه بكتاب « عصر حاضر كا مذهبي آمر » (دكتاتور العصر الحاضر الدينى) .

٢ — أسلم هـذا الرجل على يد بعض القاديانيين ونشأ فى حضانتهم وتعلم فى مصر وحاز ثقة جماعته حتى كان يستخلفه المرزا بشير الدين فى امامة الصلوة . ثم اطلع على أسرار هؤلاء الماسونيين فثار عليهم وألف لجنة من الثوار كان رئيسها .

الفصل الثانى

﴿ مظاهرة الحكومة الانجليزية وإلغاء الجهاد ﴾

الدور الذى مثلته بريطانيا والانجليز فى الشرق: غزت أوربا الشرق الاسلامى فى القرن التاسع عشر وبسطت سلطتها على الأقطار الاسلامية وكان فى مقدمتها «بريطانيا العظمى» التى تولت كبر هذا الزحف والهجوم السياسى والمادى واستولت على الهند و مصر وعاكست الدولة العثمانية وتآمرت عليها وقعدت لها بالمرصاد، تساعد منافساتها من الدول، وتحرض عليها، وبدأت تتسرب فى الجزيرة العربية وتبذر فيها بذور الفساد.

هذا وقد أصبحت مسيطرة على الهند الاسلامية وأصبحت الحكومة المغولية التيمورية — وهى الدولة المسلمة الأخيرة — أسيرة أو رهينة فى يدها، تتصرف فى ممتلكاتها تصرف السلطان الحر. وقاومها الملك الشهم الأبى السلطان تيبو فسقط فى المعركة شهيداً عام ١٧٩٩م وانبث القسوس والرهبان فى الهند يدعون المسلمين — بصفة خاصة — إلى المسيحية ويسخرون من الدين الاسلامى ومبادئه

وتعاليمه. وانتشر الفساد والخلاعـة ، وغزت الحضارة الأوربية بيوت المسلمين وبدا الالحاد ، وثار المسلمون - ومعهم المواطنون الأحرار - على الانجليز عام ١٨٥٧م وانضم إلى هذا المعسكر كل من فى قلبه ذرة من إيمان أو جمرة من غيرة . وانتصر الانجليز - بدهائهم وحسن نظامهم وقوة عزمهم - فانتقموا من أهل البلاد ومن المسلمين خاصة إنتقاما شديدا وكانوا مصداق قوله تعالى «إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة» . ولم يكن الانجليز طغاة ظالمين وملوكا مستبدين فحسب بل كانوا رسل الفساد والالحاد والخلاعة والاباحـة وكانوا حملة لواء الاستعمار والاستهتار والثورة على القيم الروحية والخلقية التى جاء بها الأنبياء ونزلت بها الصحف ، وكانوا مغيرين على العالم الاسلامى وزعماء الاستعمار الأوربي السياسى والثقافى والخلقى .

سيرة الأنبياء وخلفائهم : لقد عرفنا من سيرة الأنبياء وخلفائهم أنهم كانوا دائماً حرباً على الظالمين والمجرمين ، بعيدين عن تائيدهم ومساعدتهم . وقد قال موسى عليه السلام : «رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيراً للمجرمين» ، ودعا على فرعون عصره ومصره بقوله : «ربنا إنك آتيت فرعون و ملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ،

ربنا ليضلوا عن سبيلك ، ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم». وقال تعالى مخاطباً للمؤمنين : «ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار، وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون». وقال النبي صلى الله عليه وسلم «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». وأسوة النبي صلى الله عليه وأصحابه وخلفائه — من العلماء الربانيين والدعاة المخلصين — معلومة مسجلة في التاريخ، والحديث يطول .

دعوة إلى تائيد الانجليز وإلغاء الجهاد : ولكن بالعكس من وصايا القرآن الواضحة وروح الدين الاسلامى ، وبالعكس من أسوة الأنبياء والمرسلين ، وأصحابهم وخلفائهم الصادقين ، وبضد آية «إنا أرسلنا إليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا إلى فرعون رسولا» التى يطبقها المرزا على نفسه ، نرى المرزا غلام أحمد — الذى يدعى أنه مأمور من الله ومرسل من عنده — يمدح أكبر فراعنة عصره — الانجليز — ويحرص على تائيد الحكومة الغاشمة الظالمة التى اغتصبت المملكة الاسلامية وأغارت على العالم الاسلامى وحملت رأية الفساد والالحاد وصادرت الأوقاف الاسلامية وقتلت الأبرياء والصفوة المختارة من العلماء ، نراه يحرص على تائيد هذه الحكومة ويتملقها

فى اسلوب سافر يترفع عنه كل صاحب ضمير ومبـــدأ فضلا عن الدعاة، فضلا عن خلفاء الأنبياء، فضلا عن الأنبياء أنفسهم، ونراه يُعنى بهذا الموضوع فى يقظة ودقة من مبدأ أمره. فنراه فى مؤلفه الأول «براهين أحمديه» يعدّ حسنات هذه الحكومة ومننها، ويحث الجمعيات الاسلامية على ترتيب وثيقة يوقع عليها العلماء ورجال الدين ويفتون بالغاء الجهاد وتقدم هذه الوثيقة إلى الحكومة. ثم نراه لا يضيع فرصة ولا مناسبة للثناء العاطر على هذه الحكومة ولا ينسى — مع أنه كثير النسيان والغفلة — قضية الجهاد ووجوب نسخه وإلغائه ونشر ذلك فى الهند وفى الأقطار الاسلامية.

خدمات المرزا فى تائيد الحكومة الانجليزية: وإلى القارى بعض الأمثلة من هذه المكتبة الواسعة فى موضوع تائيد الحكومة الانجليزية وإلغاء الجهاد — الذى كان المسلمون فى حاجة ملحة إلى إحيائه والدعوة إليه ليتحرروا من نير الحـــكم الأجنبي ويتخلصوا من هذا السرطان الانجليزى الذى امتد فى جسم العالم الاسلامى، يقول فى كتابه «ترياق القلوب» ص ١٥:

«لقد قضيت معظم عمرى فى تائيد الحكومة الانجليزية ونصرتها

وقد ألفت فى منع الجهاد ووجوب طاعة أولى الأمر «الانجليز» من الكتب والاعلانات والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة. وقد نشرت جميع هذه الكتب فى البلاد العربية ومصر والشام وتركيا، وكان هـــدفى دائما أن يصبح المسلمون مخلصين لهذه الحكومة وتمحى من قلوبهم قصص المهدى السفاك والمسيح السفاح والأحكام التى تبعث فيهم عاطفة الجهاد وتفسد قلوب الحمق».

وقال فى آخر كتابه «شهادة القرآن» إن عقيدتى التى أكررها أن للاسلام جزئين: الجزء الأول إطاعة الله والجزء الثانى إطاعة الحكومة التى بسطت الأمن وآوتنا فى ظلها من الظالمين، وهى الحكومة البريطانية».[1]

ويقول فى رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة عام ١٨٩٨م: «لقد ظللت منذ حداثة سنى وقد ناهزت اليوم الستين أجاهد بلسانى وقلمى لأصرف قلوب المسلمين إلى الاخلاص للحكومة الانجليزية والنصح لها والعطف عليها، وألغى فكرة الجهاد التى يدين بها بعض جهالهم والتى تمنعهم من الاخلاص لهذه الحكومة، وأرى أن

---

١ ـــ ملحق شهادة القرآن.

كتاباتى قد أثرت فى قلوب المسلمين وأحدثت تحولا فى مئات آلاف منهم.»[١]

وقال فى محل آخر:

«لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية أثبت فيها أنه لا يحل الجهاد اصلا ضد الحكومة الانجليزية التى أحسنت إلينا، بل بالعكس من ذلك يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص، وقد انفقت على طبع هذه الكتب اموالا كبيرة وأرسلتها إلى البلاد الاسلامية، وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيماً فى أهل هذه البلاد (الهند). وقد كوّن اتباعى جماعة تفيض قلوبهم إخلاصاً لهذه الحكومة والنصح لها — إنهم على جانب عظيم من الاخلاص، وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون فى خدمتها».[٢]

ويقول فى محل آخر: «لقد نشرت خمسين ألف كتاب ورسالة وإعلان فى هذه البلاد وفى البلاد الاسلامية، تفيد أن الحكومة الانكليزية صاحبة الفضل والمنة على المسلمين. فيجب على كل مسلم

---

١ — تبليغ رسالات المجلد السابع ص ١٠، تاليف قاسم على القاديانى.

٢ — من رسالة مقدمة إلى الحكومة الانجليزية بقلم المرزا غلام أحمد.

ان يطيع هذه الحكومة إطاعة صادقة. وقد ألفت هذه الكتب فى اللغات الأردوية والعربيـــة والفارسية وأذعتها فى أقطار العالم الاسلامى حتى وصلت وذاعت فى البلدين المقدسين مكة والمدينة وفى الآستانة وبلاد الشام ومصر وافغانستان. وكان نتيجة ذلك أن أقلع ألوف من الناس عن فكرة الجهاد التى كانت من وحى العلماء الجامدين. وهذه مآثرة اتباهى بها، يعجز المسلمون فى الهند أن ينافسونى فيها.»[1]

وربما يخامر القارى الشك فى دقة الترجمة العربية لأن النصوص فى الأردوية مع أن الكاتب قد تحرى الاتقان والتدقيق والترجمة الحرفية. فلنقدم نصوصاً عربية بحرفها ولفظها. يقول فى كتابه «نور الحق»:

«ولا يخفى على هذه الدولة المباركة أنا من خدامها ونصحائها ودواعى خيرها من قديم وجئناها فى كل وقت بقلب صميم وكان لأبى عندها زلفى وخطاب التحسين، ولنا لدى هذه الدولة أيدى الخدمة.

«ولا نظن أن تنسها (كذا) فى حين وكان والدى الميرزا

---

١ — ستاره قيصره تأليف المرزا غلام أحمد.

غلام مرتضى ابن الميرزا عطا محمد القادياني من نصحاء الدولة وذوى الخلة وعندها من ارباب القربة وكان يصدر على تكرمة العزة وكانت الدولة تعرفه غاية المعرفة وما كنا قط من ذوى الظنة بل ثبت إخلاصنا فى أعين الناس كلهم وانكشف على الحاكين وتستطلع الدولة حكامها الذين جاؤنا ولبثوا بيننا، كيف عشنا أمام أعينهم وكيف سبقنا فى كل خدمة مع السابقين».[1]

حرز للدولة وحصن لها: ويزداد صراحة ويعد خدماته السياسية الغالية للحكومة الانجليزية و وقعها وتأثيرها فيقول فى نفس هذا الكتاب:

«وما كان تأليفى فى العربية إلا بمثل هذه الأغراض العظيمة ولم يخل تنتاب العربيين كتبي حتى رأيت فيهم آثار التأثير وجاءنى بعض منهم وراسلنى بعض وبعضهم هجنوا وبعضهم صلحوا ووافقوا كالمسترشدين. وإنى صرفت زماناً طويلا فى هذه الامدادات حتى مضت على إحدى عشر سنة فى شغل الاشاعات، وما كنت من القاصرين. فلى أن أدعى التفرد فى هذه الخدمات ولى أن أقول إننى وحيد فى هذه التائيدات ولى أن أقول أنى حرز لها وحصن حافظ

١ — نور الحق ص ٢٧ و ٢٨.

من الآفات، وبشرني ربي وقال ما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم، فليس للدولة نظيري ومثيلي في نصري وعوني وستعلم الدولة أن كان من المتوسمين».[١]

وأعتقد أن في هذا بلاغا ومقنعاً، ونختم هذا الفصل بكلمتين أخريين تلقيان الضوء على نياته وأهدافه وصلته بالحكومة الانجليزية. يقول في رسالة قدمها إلى نائب حاكم المقاطعة الانجليزي في اليوم الرابع والعشرين من فبراير سنة ١٨٩٨م:

من غرس الانجليز: «والمأمول من الحكومة أن تعامل هذه الأسرة التي هي من غرس الانجليز أنفسهم ومن صنائعهم بكل حزم واحتياط وتحقيق ورعاية وتوصي رجال حكومتها أن تعاملني وجماعتي بعطف خاص ورعاية فائقة».[٢]

علة الحدة في مناظرة القسوس: ويقول في تعليل حدة قد تعتريه في الرد على بعض القسوس: «لقد غلا بعض القسوس والمبشرين في كتاباتهم وجاوزوا حد الاعتدال ووقعوا في عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخفت على المسلمين الذين يعرفون بحماستهم

---

١ — نور الحق ص ٣٣ و ٣٤.

٢ — تبليغ رسالت المجلد السابع ص ١٩ - ٢٥.

الدينية أن يكون لها رد فعل عنيف وأن تثور ثائرتهم على الحكومة الانجليزية. ورأيت من المصلحة أن أقابل هذا الاعتداء بالاعتداء حتى تهدأ ثورة المسلمين وكان كذلك ».[1]

تحريم الجهاد فى هذا العصر: أما الجهاد — الذى أقلق الانجليز وشغل خاطرهم — فأفتى بكل صراحة وقوة بحرمته فى عصره، وكتبه وكتاباته طافحة بذلك والقليل من هذا الكثير أنه قال فى كتابه « الأربعين »:

« لقد ألغى الجهاد فى عصر المسيح الموعود إلغاءاً باتاً». وقال فى الخطبة الالهامية « لقد آن أن تفتح أبواب السماء وقد عطل الجهاد فى الأرض وتوقفت الحروب، كما جاء فى الأحاديث أن الجهاد للدين يحرم فى عصر المسيح، فيحرم الجهاد من هذا اليوم وكل من يرفع السيف للدين ويقتل الكفار باسم الغزو والجهاد يكون عاصياً لله ولرسوله ». ويقول فى ترياق القلوب « إن الفرقة الاسلامية التى قلدنى الله إمامتها وسيادتها تمتاز بأنها لا ترى الجهاد بالسيف ولا تنتظره بل إن الفرقة المباركة لا تستحل سرا كان أو علانية وتحرمه تحريماً باتاً »[2].

---

١ — ترياق القلوب ص ٣١٠.

٢ — ترياق القلوب ص ٣٣٢.

في سبيل الانجليز: وقد أمدت هذه الحركة وهذه الفئة الحكومة الانجليزية بخير جواسيس لمصالحها وأصدقاء أوفياء ومتطوعين متحمسين كانوا موضع ثقة الحكومة الانجليزية ومن خيار رجالها، خدموا الحكومة الانجليزية فى الهند وخارج الهند وبذلوا نفوسهم ودمائهم فى سبيلها بسخاء، كعبد اللطيف القاديانى الذى كان فى افغانستان يدعو إلى القاديانية وينكر على الجهاد. وخافت حكومة افغانستان أن تقضى دعوته على عاطفة الجهاد وروح الحرية التى يمتاز بها الشعب الأفغانى، فقتلته. كذلك الملا عبدالحليم والملا نورعلى القاديانيان عثرت الحكومة الأفغانية عندهما على رسائل ووثائق تدل على أنهما وكيلان للحكومة الانجليزية وأنهما يدبران مؤامرة ضدالحكومة الأفغانية. وكان جزاءهما القتل كما صرح بذلك وزير داخلية أفغانستان سنة ١٩٢٥م. ونقل ذلك «الفضل» صحيفة القاديانيين الرسمية بسرور وإعجاب فى ٣ مارس من ذلك العام.

موقف القاديانية إزاء العالم الاسلامى: وبقيت الجماعة القاديانية فى عهد مؤسسها وبعده معتزلة عن جميع الحركات الوطنية وحركة التحرير والجلاء فى الهند صامتة بل شامتة لما دهم العالم الاسلامى من رزايا ونكبات على يد المستعمرين الأوربيين، وعلى رأسهم

الانجليز مقتصرة على إثارة المناقشات الدينيــة والمباحثات حول موت المسيح وحياته ونزوله ونبوة الميرزا غلام أحمد، لاَ اتصال لها بالحياة العامة والمسائل الاسلامية والحركات التى كانت مظهراً للغيرة الاسلاميــة والشعور السياسى فى هذه البلاد دائبة على الاخلاص للحكومة الانجليزية، حريصة على خدمة مصالحها السياسية، حتى اعتقــد كثير من المفكرين والدارسين أن هذه الدعوة كانت من وحى الانجليز و وليد السياسة الانجليزية وغرسها، ولذلك كان الدكتور محمــد إقبـال مصيبا فى رأيه عن الميرزا غلام أحمد وجماعته فى شعره السائر «إنه يتحدث عن مقام الأولياء والعظماء وإنما كان مريداً مخلصاً للسادة الانجليز، إنه يعتقد أن بهاء الاسلام ومجده فى حياة العبودية وأن سعادة المسلمين فى أن لا يزالوا محكومين، أذلاء، انه كان يعد حكومة الأجانب رحمة إلهية، لقد رقص الرجل حول الكنيسة ومضى لسبيله».



الفصل الثالث

﴿ البذاءة والاقذاع ﴾

من أخلاق الأنبياء وخلفائهم عفة اللسان

الذى استفاض وتواتر من أخلاق الأنبياء وخلفائهم والتابعين لهم باحسان عفة اللسان وطهارة القول وشدة الاحتمال والصبر على الأذى. وقد قال الصحابة رضى الله عنهم: ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا فى الأسواق.[1] وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليس المؤمن بالطعان ولا باللعان ولا الفاحش ولا البذى.[2] وذكر عن عيسى بن مريم — صلوات الله عليه — أنه كان لا يمر بملأ من بنى إسرائيل إلا أسمعوه شرا وأسمعهم خيرا، فقال له شمعون الصفا: ما رأيت كاليوم كلما أسمعوك شرا أسمعتهم خيرا. فقال: كل امرئ ينفق بما عنده. والأخبار والآثار فى ذلك أكثر من أن تحصى والمطلع على كتب السيرة والتاريخ يعلم ذلك بداهة

---

١ — رواه الترمذى.

٢ — ايضاً.

واضطراراً.

سلاطة اللسان وبذاءة القول في حياة القادياني: أما المرزا فكان سليطا طويل اللسان هجّاءاً مقذعاً للمخالفين والعلماء المعاصرين وعباد الله الصالحين، وكان مصداق صفة المنافق التي جاءت في الأحاديث الصحاح «وإذا خاصم فجر».[1]

أمثلة من الهجاء والبذاء: ولما كان الهجاء والتعريض والتهكم تصعب ترجمته إلى لغة أخرى، وإنه من أدق الأساليب اللغوية، آثرنا أن ننقل هنا شيئاً يسيرا من كتاباته ورسائله العربية على ركاكة عبارتها وتكلفها.

يقول في رسالة وجهها إلى علماء الهند وشيوخها الكبار:

«نعب علينا كل ذي أعور ذي غواية، ونعق علينا كل ابن داية محروم عن دراية، وعوى كل خليع خليع الرسن، ونبح كل كلب ولو كان كاليفن، فاذا قمنا كانوا مديد الوسن أو كانوا من الميتين.

---

١ — تمام الحديث، عن عبدالله ابن عمر بن العاص رض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا أؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر — متفق عليه.

لما رأى التونكي خلاصته انضرى ٭ فروا وولوا الدبر كالمنشور
إن يشتموا فلقد نزعت ثيابهم ٭ وتركتهم كالميت المنكر[١]

وسمى جماعة هي الصفوة المختارة في الهند في عصره علماً وصلاحاً واستقامة، وأعلامها، وما ذنبهم إلا أنهم خالفوه وردوا عليه. يقول مخاطباً للشيخ محمد حسن البتالوى: «فنهم شيخك الضال الكاذب نذير المبشرين، ثم الدهلوى عبد الحق رئيس المتصلفين، ثم عبد الله التونكى ثم أحمد على السهارنبورى من المقلدين ثم سلطان المتكبرين الذى أضاع دينه بالكبر والتوهين،[٢] ثم الحسن الأمروهى الذى أقبل علىّ إقبال من لبس الصفاقة وخلع الصداقة وأعلقت أظفاره بعرضى كالذئاب ومخابه بثوبى كالكلاب، ونطق بكلم لا ينطق بمثلها إلا شيطان لعين، وآخرهم الشيطان الأعمى والغول الأغوى يقال له رشيد الجنجوهى[٣] وهو شقى كالأمروهى ومن الملعونين».[٤]

ويقول عن مخالفيه عامة: «تلك كتب ينظر إليها كل مسلم بعين المحبة والمودة وينتفع من معارفها ويقبلنى ويصدق دعوتى إلا ذرية

---

١ — ملحق بكتاب انجام آتهم ص ١٥٨ . ٢ — يريد الاهانة .
٣ — انظر تراجم هؤلاء الأعلام فى الجزء الثانى من نزهة الخواطر حتى تعرف مقدار جرأته ووقوعه فى عرض العلماء الربانيين وأولياء الله المقبولين .
٤ — المكتوب العربي ملحق بكتاب انجام آتهم، ص ٢٥٢ .

البغايا الذين ختم الله على قلوبهم فهم لا يقبلون».[١]

أما الشعر الهجائي فقد برز فيه الاقذاع على حطيئة وابن الرومي إلا أنهما من الطبقة الأولى في البلاغة والأدب وهو ركيك الأسلوب ضعيف العربية كثير الاخطاء واللحن[٢]. ومن أمثلة هذا الشعر الهجائي: إن العدى صاروا خنازير الفلا

نساؤهم من دونهن الأكلب[٣]

ويقول عن العالم الكبير والشيخ الجليل مهر علي الگولروي الچشتي رحمه الله: فقلت لك الويلات يا أرض جولر

لعنت بملعون فأنت تدمر[٤]

ويقول عن الشيخ سعد الله اللدهيانوي وقد رد عليه:

ومن اللئام أرى رجيلا فاسقا ٭ غولا لعينا نطفة السفهاء
شكس خبيث مفسد ومزور ٭ نحس يسمى السعد في الجهلاء
آذيتني خبثا فلست بصادق ٭ إن لم تمت بالخزي يا ابن بغاء

وأعتقد أن هذه النماذج تكفي لتصوير شخصيته ونفسيته،

١ ــ آئينة كمالات اسلام، ص ٥٤٧، ٥٤٨.
٢ ــ راجع مكتوبه العربي الطويل في آخر كتاب انجام آتهم، ونور الحق.
٣ ــ نجم الهدى، ص ١٥.
٤ ــ أعجاز أحمدي، ص ٧٥.

ويستطيع الانسان أن يحكم هل رزق هذا الرجل نصيبا من أخلاق أتباع الأنبياء والأشراف من الناس فضلا عن الأنبياء أنفسهم — صلوات الله وتحياته عليهم — وهل تتفق هذه السيرة مع المنصب الذى كان يتظاهر به ويدعيه ؟



الفصل الرابع

﴿ نبوءة لم تتحقق ﴾

قصة طريفة : لقد أكثرنا فى هذا الكتاب من الالهامات وأخيراً أوردنا أمثلة من الهجاء المقذع والكلام البذئ . لعل القارى استقل ذلك ودخلت عليه السآمة والملل، فلنقص عليه — ونحن فى آخر الكتاب — قصة طريفـــة لولا أنها قصة داع وزعيم دينى ولولا أنها نبوءة تحدى عليها العالم، لكانت رواية غرامية تكون موضوع كتاب قصصى أو تمثيل خطبة لفتاة :

فى سنة ١٨٨٨م أخبر المرزا غلام أحمـــد أن الله أمره أن يخطب فتاة اسمها «محمـدى بيكم» بنت المرزا أحمد بيگ (وهو ابن خاله) فان قبل والده ذلك استحق الرحمة من الله والبركات العظيمة، وإن رفض ساءت عاقبة الفتاة، وإن زوجها أبوها بشاب آخر مات هـذا الشاب خلال عامين ونصف وأبوها خلال ثلاث سنوات، وحل بهذه الأسرة ضيق وشدة وافتراق.[1] واعلن ذلك على رؤس

١ — إعلان المرزا غلام احمد، امن يوليو عام ١٨٨٨ .

الأشهاد وطبع هذا الاعلان و وزعه فى الناس، وعبر ذلك — كما فى «آئنة كمالات إسلام» — بالوحىَ النازل عليه.[١]

وقال: «قد أنبأنى الله أن كريمة المرزا أحمد بيگ الكبرى (محمدى بيگم) ستدخل فى زواجك وأن أهلها سيعادونك ويمنعونها منك ويجتهدون أن لا يتحقق ذلك، ولكن الله سيحقق وعده ويمنحها لك بكراً كانت أو ثيباً ويزيل العراقيل وينجز هذا العمل، ولا راد لما قضى الله».[٢]

نبوءة وتحدٍ: وكان بين سن الفتاة المخطوبة وسن المرزا تفاوت عظيم، فقد قال: «هذه المخطوبة جارية حديثة السن عذراء وكنت حينئذ جاوزت الخمسين».[٣]

لم يكن لنا شأن بهذه القضية، فانها قضية شخصية ومنزلية. كثيرا ما يخطب الناس البنات ويرغبون فى زواجهن وقد ينجحون وقد لا ينجحون، ولكنها نبوءة. وقد قال المرزا فى بعض مؤلفاته «فليعلم المنكرون أنه ليس هنالك محك امتحاننا وميزان صدقنا

---

١ — ص ٥٥٢.

٢ — إزالة اوهام ص ٣٩٦.

٣ — انتهى بلفظه، آئنة كمالات اسلام، ص ٥٧٤.

وكذبنا أعظم من النبوءات».[١] وقد قال فى محل آخر «إن النبوءات التى تعرض على المخالفين كالدعاوى ويتحدى عليها تكون مشرقة وبديهية ويتوجه الملهمون بها إلى الله ويتثبتون فيها ويتبينونها حتى لا يبقى فيها غموض أو إيهام».[٢]

وقد تحدى المرزا على هذه النبوءة مراراً وجزم بأنها وحى من الله وأنها متحققة لا محالة. وقد قال: وقد ألهمنى الله «ويستلونك أحق هو؟ قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين، زوجنا كها لا مبدل لكلماتى، وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر» (انتهى بلفظه).[٣] وقال فى الرسالة العربية التى وجهها إلى علماء الهند ومشائخ البلاد: «والقدر قدر مبرم من عند الرب العظيم وسيأتى وقته بفضل الله الكريم، فوالذى بعث لنا محمد المصطفى وجعله خير الرسل وخير الورى إن هذا حق فسوف ترى، وإنى أجعل هذا النبأ معياراً لصدقى وكذبى، وما قلت إلا بعد ما أنبئت من ربى».[٤] وقال فى إلهام آخر «كذبوا بآياتنا وكانوا بها يستهزؤن، فسيكفيكهم الله

١ — دافع الوساوس، ص ٢٨٨.

٢ — إزالة اوهام، ص ٢٠٢.

٣ — آسمانى فيصله، ص ٤٠.

٤ — ص ٢٢٣

ويردها إليك، لا تبديل لكلمات الله، إن ربك فعال لما يريد، أنت معى وأنا معك، عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا ». (اعلان ١٠ يوليه ١٨٨٨م).

طلب يرفض: فلنر هل تحققت هذه النبوءة العظيمة التى خاطر فيها المرزا بكرامته وصدقه؟ لقد رفض أهل الفتاة هذا الطلب فى صرامة وجد، وعزموا على أن يزوجوها شاباً من اهل قرابتهم اسمه المرزا سلطان محمد. وعرف ذلك المرزا، وكان الناس — من المسلمين والمسيحيين والهندوس — قد تسامعوا هذه النبوءة، وكان المرزا أول من أذاعها فى الناس ونشرها فى الصحف وسجلها فى الكتب. واستشرفوا لها، وكان المرزا يعتقد أن لا باس أن يجتهد الرجل فى تحقيق نبوءة ووعد من الله ويسعى فى ذلك. فكتب إلى والد الفتاة أحمد بيك وهو ابن خاله وإلى أعضاء الأسرة رسائل رقيقة مرققة يستعطف بها قلوبهم، ولجأ إلى الوعد والوعيد والاطماع والترهيب، فلم يزدهم ذلك إلا عنادا وإصرارا. وعرف أن امرأة ابنه فضل أحمد تخالفه فى ذلك فأجبر ابنه على تطليقها وطلقها، وعرف أن ابنه سلطان أحمد يشايع اعداءه ومنافسيه فهجره وحرمه الارث.[1]

---

١ — سيرة المهدى ج ١ ص ٢٢ .

ووعد خال البنت جائزة إن منع الزواج بسلطان محمد،[1] ولكن كل ذلك لم يؤثر و وقع المحذور وتزوج سلطان محمد الفتاة فى اليوم السابع من أبريل سنة ١٨٩٢[2] مع أن ألوفا من أتباعه كانوا يدعون فى المساجد لتحقيق هذه النبوءة وتبييض وجه من آمنوا به.

معاكسة القدر للرزا: ولكن المرزا لم ييأس ولم يقطع الرجاء من تحقق هذه النبوءة ولم يزل يتحدى على ذلك حتى قال حالفا فى الحكمة: «الواقع أن الفتاة لم تدخل فى زواجى، ولكنى سأتزوجها كما جاء فى النبوءة ويندم المعترضون والشامتون ويطرقون رؤسهم حياءاً وخجلا، إن الفتاة لا تزال حية ترزق، وستدخل يوماً من الأيام فى زواجى، وليس ذلك بأمل بل هو يقين لا شك فيه، إنها من أخبار الله ولا مبدل لكلمات الله.[3]

وعاش المرزا سلطان محمد وقد مضى عامان ونصف عام فكأن جريرا عناه فى بيته السائر:

زعم الفرزدق أن سيقتل مربعاً ✽ أبشر بطول سلامة يا مربع

ورأى المرزا من المصلحة أن يوسع له فى أجله، ولكنه لم يشك فى

١ — سيرة المهدى، ص ١٧٤. ٢ — آئنة كمالات اسلام ٢١٣.
٣ — «الحكم» قاديان، المجلد الخامس رقم ٢٩، ١٠ من أغسطس ١٩٠١ م

تحقيق هذه النبوءة فقال «إنه قدر مبرم، وقد جاء فى الالهام، لا تبديل لكلمات الله».[1]

ومرض المرزا مرة أشفى به على الموت وبدا له أن النبوءة لم تتحقق فقد دنا أجله والفتاة متزوجة بمحمد سلطان ولا يزال بقيد الحياة. وكاد الشك يساوره فى النبأ ولكن الله طمأنه وألهمه عند دنو الأجل: «الحق من ربك فلا تكن من الممترين».[2]

ولكن الأمنية لم تتحقق، وسلطان محمد لم يمت بل عاش بعد المرزا زمنا طويلا مع زوجه وحضر الحرب الأولى وجرح وعاش رغم ذلك. أما المرزا فقد مات عام ١٩٠٨ كما سبق فى ترجمته.

لابد من الانتظار: ولكن وفاة المرزا لم تضعف إيمان المؤمنين الراسخين بالمرزا ونبوءته. وقال الحكيم نور الدين: لو تزوج فتى من أولاد المرزا بفتاة من ذرية محمدى بيگم فى عصر من العصور لتحققت هذه النبوءة.[3]

---

١ — تبليغ رسالت، الجزء الثالث ص ١١٥، ١١٦.

٢ — ازالة اوهام، ص ٣٩٨.

٣ — وفاة المسيح الموعود، مقالة للحكيم نور الدين فى ريوو اوف ريليجنز: المجلد السابع عدد ٦، ٧ شهر يونيو ويوليو ١٩٠٨، ص ٢٧٩.

إن للمرزا غلام أحمد نبوءات تحدى عليها وجعلها معياراً لصدقه وكذبه لم تحقق، ولكننا اخترنا هذه النبوءة لأهميتها وشهرتها وطرافتها، ولأن تحديه عليها كان أعظم وعدم تحققها كان أشهر.



الباب الرابع

القاديانية فى الميزان

الفصل الأول

﴿ دين إزاء دين وأمة إزاء أمة ﴾

قضية شاذة فى التاريخ الاسلامى: لقد أخطأ وأغرق فى التفاؤل من نظر إلى الديانة القاديانية كعقيدة شاذة من عقائد المسلمين وعاملها كطائفـــة إسلامية تنحرف عن الجادة وتفارق السواد الأعظم فى عقيدة دينية. أو رأي علمى، أن قضية القاديانية تختلف عن ذلك إختلافاً واضحاً، إنها قضيـــة شاذة من قضايا التاريخ الاسلامى، وإن أدق تعبير وأصحه عنها أنها دين إزاء دين وأمـة إزاء أمة، وإن كان لها نظير فى تاريخ الاسلام الطويل الواسع فهو فى البـاطنية والاسماعيليـة منذ عهـد مؤسسها ميمون القداح وابنه عبد الله ابن ميمون جد العبيديين.

الدين يشمل الحياة كلها: إن الدين ليس مجرد عقيـدة وعمل،

ولكنه عقيدة وعمل، وعقلية وعاطفة، وشعائر ومراكز روحية، وسلف وتاريخ وماض، وإن فيه رسالة وغذاءاً وزاداً ومدداً لكل ناحية من هذه النواحي ولكل حاجة من هذه الحاجات التي لا يمكن أن يحرمها الانسان الحي الواعي وتجرد منها الحياة. وكل دين من الأديان السماوية وكل نظام من النظم المادية التي توازي الدين وتنافسه تشغل هذه النواحي وتغذيها، فالمسيحية لها عقيدة معروفة، وعقلية خاصة وعاطفة متميزة، وشعائر ومراكز روحية، وسلف وتاريخ وماض، والشيوعية هكذا، لها عقيدتها وعقليتها وعواطفها، وشعائرها، ومراكزها، وسلفها، وتاريخها وهلم جراً.

مزاحمة القاديانية للاسلام في الحياة: وإذا قسنا القاديانية بهذا المقياس وجدنا أنها — خصوصاً في طور شبابها ومجدها — أشبه بديانة مستقلة منها بطائفة أو مذهب أو مدرسة فكرية، إن فيها اتجاهاً واضحاً إلى شغل جميع نواحي الحياة الدينية وتغذيتها بغذائها الخاص، إنها تزاحم الاسلام — الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ومضت عليه هذه الأمة — في كل شيء، وتريد أن تحل محله في العقيدة والفكر والعاطفة، وتستولى على نصيبه من الطاعة والحب والاحترام والتقديس، وتتجه بعاطفة من يدين بها وبقلبه وفكره

إلى هذه الديانة الجديدة ومنبعها ومركزها الروحى ، وتعوض كل ما تقطع عنه صلة أتباعها أو تضعف بطبيعة الحال بعوض من عندها ، بل تقلب تيار الحياة الروحية والفكرية من المركز الاسلامى القديم إلى مركز « الاسلام الجديد » .

مزاحمة فى المقدسات والشعائر: وللوصول إلى هذا الغرض والنتيجة الطبعية ، أنها تقارن بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبين رفقة غلام أحمد . فقد جاء فى صحيفة الفضل القاديانية المجلد الخامس :

« لم يكن فرق بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وتلاميذ المرزا غلام أحمد . إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية » .[1] وتشيد بفضل مدفن غلام أحمد ومساواته لمدفن سيد الرسل صلى الله عليه وسلم ، وقد نشرت صحيفة « الفضل » وهى الصحيفة القاديانية الرسمية فى عدد ١٨٤٨ من المجلد العاشر الصادر فى دسمبر ١٩٢٢م إعلانا عن قسم التربية فى قاديان : « إن الذى يزور قبة المسيح الموعود البيضاء يساهم فى البركات التى تخص قبة النبى الخضراء فى المدينة ، فما أشقى الرجل الذى يحرم نفسه هذا

١ — عدد ٩٢ يوم ٢٨ مايو ١٩١٨م .

التمتع فى الحج الأكبر إلى قاديان».

ويعتقد القاديانيون أن قاديان هى ثالثة المقامات الثلاثة المقدسة ويقول المرزا بشيرالدين محمود: «لقـــد قدس الله هذه المقامات الثلاثة (مكة والمدينه وقاديان) واختار هذه الثلاث بظهور تجلياته».[١] وقد طبق غلام أحمد نفسُه ما نزل من الآيات فى بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك على قاديان، فقد قال فى حاشيته على «براهين أحمديه» إن قوله تعالى: «ومن دخله كان آمنا» يصدق على مسجد قاديان».[٢] ويقول فى بيت ترجمته بالعربية: «إن أرض قاديان تستحق الاحترام وإنها من هجوم الخلق أرض الحرم».[٣]

وقال: «تحقق عندى أن الذى قلته فى براهين أحمديه عن قاديان على طريق الكشف وأنها ذكرت فى القرآن صحيح لا غبار عليه فانه من المؤكد أنها المراد بقوله تعالى: سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله... فالمراد بالمسجد الأقصى مسجد المسيح الموعود الواقع فى قاديان».[٤]

---

١ — الفضل ٣ سبتمبر ١٩٣٥ م
٢ — براهين أحمديه، ج ٤، ص ٥٥٨.
٣ — در ثمين (مجموع كلمات غلام أحمد) ص ٥٢.
٤ — تذكره يعنى الوحى المقدس، ص ٣٤٥.

وإذا كانت قاديان تناهض البلد الحرام وربما تفوقه فلا بد أن السفر إليها يساوى الحج بل يفوق عليــه، وقد جاء فى صحيفة «الفضل» المجلد العشرين عدد ٦٦: «الحج إلى قاديان حج ظلى إلى البيت الحرام». وزادت على ذلك «پيغام صلح» لسان حال الفرع اللاهورى فنشرت: «إن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب، لأن الحج إلى مكة اليوم لا يودى رسالته ولا يفى بغرضه».[1]

وقد بدأ القاديانيون بعد المرزا يؤرخون بالشهور الجديدة التى تتصل بحوادث حياته. وهنا أسماء الشهور المقابلة للشهور الأفرنجية: الصلح، التبليغ، الأمان، الشهـادة، الهجرة، الاحسان، الوفاء، الظهور، تبوك، الاخاء، النبوءة، الفتح.

ترحيب القوميين الهنديين بالقاديانية: وقد رحب الهنادك الذين لم يزالوا ينقمون على المسلمين تعلق قلوبهم بالجزيرة العربية بصفتها مهد الاسلام ومنزل الوحى، وبالنبي العربى صلى الله عليه وسلم ويرون ذلك نقصاً فى وطنيتهم ويقولون إنهم دائما ينظرون إلى الخارج ويستمدون منه العاطفة الدينية والغذاء الايمانى، قد رحب

١ ــ المجلد الحادى والعشرون عدد ٢٣.

هؤلاء الناقمون والوطنيون الغلاة بالديانة التى تنقل المركز الروحى والثقافى من الجزيرة العربية ومن الحرمين الشريفين إلى «قاديان»، وتركز الدين والعواطف الدينية وتحصرها فى الهند وتفيض عليها القداسة واعتبروها انتصارا للوطنيـــة الهندية على الاسلام الأجنبى وفرصة سانحة للتحول العظيم فى تفكير المسلمين، وإلحادهم. وننقل هنا قطعة من مقالة لكاتب هندكى نشرتها صحيفة هندكية فى عددها الصادر فى ٢٢ ابريل سنة ١٩٣٢ع :

«إن المسلمين الهنود يعتبرون أنفسهم أمة منفصلة متميزة، ولا يزالون يتغنون ببلاد العرب ويحنون إليها، ولواستطاعوا لأطلقوا على الهند اسم العرب. وفى هذا الظلام الحالك وفى هذا اليأس الشامل يظهر شعاع من نور يبعث الأمل فى صدور الوطنيين، وهى حركة الأحمديين (القاديانيين). وكلما أقبل المسلمون إلى الأحمدية نظروا إلى قاديان كمكة هذه البلاد والمركز الروحى العالمى وأصبحوا مخلصين للهنـــد وقوميين بمعنى الكلمة. إن تقدم الحركة الأحمدية ضربة قاضيـة على الحضارة العربية والوحدة الاسلامية. وكل من اعتنق الأحمدية تغيرت وجهـــة نظره وضعفت صلته الروحيـــة بمحمد صلى الله عليه وسلم بذلك، وتنتقل الخلافة من

الجزيرة العربية وتركيا إلى قاديان فى الهند ، ولا تبق لمكة والمدينة إلا حرمة تقليدية. إن كل أحمدى سواءاً كان فى البلاد العربية أو تركيا أو إيران أو فى أى ناحية من نواحى العالم يستمد من القاديان القوة الروحية وتصبح قاديان أرض نجاة له ، وفى ذلك سر بفضل الهند وهذا هو سر عدم ارتياح المسلمين إلى الحركة الأحمدية وقلقهم منها ، لأنهم يعتقدون أن الحركة الأحمدية هى المنافسة للحضارة العربيـة والاسلام ، ولذلك اعتزل الأحمديون عن حركة الخلافة لأنهم يحرصون على تأسيس الخلافة فى قاديان مكان تركيا والجزيرة العربية ، وإن كان هذا الواقع مقلقا للسلمين الذين لا يزالون يحلمون بالاتحـاد الاسلامى وبالاتحاد العربى. ولكنه مصدر سرور وارتياح للوطنيين الهنديين ».[1]



١ — مقالة للدكتور شنكر داس مهرا فى صحيفة « بندے ماترم ».

الفصل الثانى

﴿ ثورة على النبوة المحمدية ﴾

موهبة خص الله بها هذه الأمة: لقد كانت عقيدة أن الدين قد أكمل وأن محمدا صلى الله عليه وسلم هو آخر الأنبياء وخاتم النبيين وأن رسالته هى الرسالة الأخيرة، موهبة خص الله بها هذه الأمة. ولذلك نظر إليها العالم اليهودى الذى تحدث مع أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رض بغبطة عظيمة وحسرة كبيرة، وكان بعيد النظر فى قوله «آية فى كتابكم تقرأونها، لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا». يعنى قوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا». ولم يعارضه عمر رض فى جلالة هذه الآية وأهميتها، ولكنه نبهه على أنه لا يحتاج إلى عيد جديد لأنها نزلت فى يوم عظيم وقال: «قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذى نزلت فيه على النبى صلى الله عليـــه وسلم وهو قائم بعرفة يوم الجمعة».[1]

---

١ -- الجامع الصحيح للبخارى كتاب الايمان باب زيادة الايمان ونقصانه.

الحارس من الفوضى الفكرية: لقد بقيت هذه العقيدة تحرس هذا الدين من غائلة المبتدعين وفتنة المتنبئين والمتزعمين وتحرس هذه الأمة من الفوضى الفكرية والدينية التى كانت الأمم السابقة والديانات السالفة فريستها. واستطاع هذا الدين واستطاعت هذه الأمة — بفضل هذه العقيدة — أن تقاوم المؤامرات الدقيقة وتحتمل الصدمات العنيفة، وبقيت وحدة فى الدين والعقيدة لم تواجه ثورة داخلية أو اضطراباً فكرياً — إلا ما كان من الباطنية فى العهد القديم — ولا تنقسم هذه الأمة فى أمم، لكلٍ وجهتها ولكلٍ مركزها الروحى، ومصدرها العلمى، والثقافى، ولكلٍ تاريخ منفرد وماض مخالف.

ولقد كانت عقيدة ختم النبوة تمجيدا للنوع الانسانى كذلك وإعلانا بأن النوع البشرى قد بلغ سن الرشد والنبوغ وجاءت الرسالة الأخيرة، وأصبح المجتمع البشرى فى غنى عن وحى جديد ورسالة سماوية جديدة، فبعث ذلك فى الانسان الثقة ببلوغه وكان ذلك حافزاً للانسان على التقدم فى المدنية والاعتماد على العلم والتجربة فى الحياة اليومية، ولكن جاء المرزا وقال بصراحة «إن الروضة الانسانية كانت ناقصة فجئت وبلغت كمالها». وهكذا هدم

الماضى وأثار الشك فى المستقبل

منافسة للنبوة المحمدية : لقد شهد التاريخ الاسلامى محنا عظيمة ومؤامرات خطيرة ولكنه لم يشهد مثل هذه المحنة ومثل هذه المؤامرة. لقد كانت المحن القديمة ثورة على الحكم الاسلامى أو ثورة على الشريعة الاسلامة ولكن القاديانية كانت ثورة على النبوة المحمدية وعلى خلود الرسالة الاسلامية وعلى وحدة هذه الأمة، وإنها تخطت الخط الأخير الذى يفصل هذه الأمة عن أمم أخرى والذى يعتبر كخط التحديد بين مملكتين. ولقد كان الدكتور محمد إقبال موفقا وحكيماً فى الحكم على القاديانية بأنها خطر على الاسلام وإنها ديانة مستقله، قال رحمه الله فى رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند الانجليزية استيتسمن (Statesman) التى أثارت مسئلة القاديانيين قبل سنوات: « إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ». ورداً على كلمة البندت جواهرلال نهرو رئيس وزراء الهند الحالى وقد تسائل : لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية من الاسلام وهى طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة؟ قال الدكتور:

١ — نشرت الصحيفة هذه الكلمة فى عددها الصادر فى ١٠ يونيه ١٩٣٥ م.

« إن القاديانية تنحت من أمة النبي العربي صلى الله عليه وسلم أمة جديدة للنبي الهندي ». وذكر أنها أشد خطراً على الحياة الاجتماعية للاسلام فى الهند من عقائد اسفنوزا (Spinoza) الفيلسوف اليهودى الثائر على نظام اليهود.

ويقول فى تفصيل من مقالته فى استيتسمن التى سبق ذكرها :

« إن عقيدة أن محمداً صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين هو العامل الذى يخط خط التحديد (line of demarcation) بكل دقة بين الدين الاسلامى والديانات الأخرى التى تشارك المسلمين فى عقيدة التوحيد والموافقة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولكنها تقول باستمرار الوحى وبقاء النبوة كـ « برهمو سماج » فى الهند، وهو الذى يستطيع به الانسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالاسلام والانفصال عنه، ولا أعرف فى التاريخ طائفة مسلمة اجترأت على تخطى هذا الخط. إن البهائية فى إيران أنكرت عقيدة ختم النبوة ولكنها أعلنت بصراحة أنها طائفة مستقلة ليست مسلمة بمعنى الكلمة المصطلح ».

المجتمع الاسلامى قائم على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم:

ويستمر قائلا : « إننا نعتقد أن الاسلام دين أوحى الله به ولكن

وجود الاسلام كمجتمع أو أمة يتوقف على شخصية محمد صلى الله عليه وسلم. وليس للقاديانية إلا أن يختاروا أحد الأمرين، إما أن يتبعوا البهائية فى انفصالها من المسلمين وإما أن يتخلوا عن تفسيراتهم المتطرفة لفكرة ختم النبوة فى الاسلام. إن تأويلاتهم السياسية لا تنم إلا عن حرصهم على البقاء فى محيط المسلمين ليستغلوا هذا الاسم وينتفعوا بفوائد سياسية لا تحصل إلا باسم المسلمين».

وقال فى محل آخر «إن كل مجتمع ينفصل عن الاسلام له تابع ديني يقوم على أساس نبوة جديدة ويعلن بكفر جميع المسلمين الذين لا يصدقون بهذه النبوة المزعومة. يجب أن ينظر إليه المسلمون كخطر جدى لوحدة الاسلام (Integrity of Islam). إن نبوغ المجتمع الاسلامى لا يقوم إلا على عقيدة ختم النبوة».

المتنبئون بعد غلام أحمد: لقد فتح المرزا غلام أحمد باب النبوة على مصراعيه وقال «إن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم يمنح كمالات النبوة وإن عنايته واهتمامه ينحت الأنبياء الجدد ويخلقهم».[1] وقال نجله وخليفته المرزا بشيرالدين محمود «لقد اعتقدوا أن كنوز الله قد نفدت، ما قدروا الله حق قدره، إنكم تتنازعون فى نبي واحد

١ — حقيقة الوحي للمرزا غلام أحمد، ص ٩٦.

وأنا أعتقد أنه سيكون هنالك ألف نبي (بعد محمد صلى الله عليه وسلم)». وقد أحدث ذلك فوضى فى «النبوة» وفقدت كلمة «النبوة» جلالتها وحرمتها وقداستها، وأصبحت ألعوبة وعبثا، وكثر المتنبؤن فى القاديانية ومُدعوا الالهام، وقد عد منهم الأستاذ محمد إلياس البرنى إلى عام ١٣٥٥ سبعة، ولا شك أنه ليس إحصاءاً دقيقا وإنهم أكثر من هذا وإلى ازدياد مستمر.

التفريق بين المسلمين: وقد شعر بخطر فتح باب النبوة من جديد وتكفير من لا يومن بها الأستاذ محمد على اللاهورى الذى ظل مدة يؤمن بغلام أحمد كنبي ثم رجع عن ذلك وانتقد الفئة القاديانية التى يتزعمها بشيرالدين انتقاداً شديدا، فقال:

«انشدكم بالله، إن صح الاعتقاد بأن النبوة لم تنقطع وإن الأنبياء لا يزالون فى غدو ورواح إلى هذا العالم كما صرح بذلك محمود أحمد فى أنوار الخلافة، أفلا تزال هذه الطوائف التى تعد بالآلاف تكفر بعضها بعضا، وتغيب الوحدة الاسلامية؟ نفرض أن هؤلاء الأنبياء يبعثون فى الجماعة الأحمدية (القاديانية) وحدها، أفلا تمزق بذلك الجماعة الأحمدية نفسها؟ إنكم لا تجهلون السنن

---

١ — انوار خلافت ص ٦٢.

القديمة وتعرفون كيف كان الناس ينقسمون بين موافق ومعارض على مبعث نبي، إن الله الذى قد قضى بتوحيد شعوب العالم وأمه أ يمزق المسلمين ويقطعهم إرباً إرباً يكفر بعضهم بعضا وتتوتر بينهم العلائق والصلات وتصبح الأخوة الاسلامية أثراً بعد عين؟ اعلموا إذا كان الله قد وعد بأن يظهره على الدين كله وهو لا يخلف الميعاد فان الاسلام لا يبتلى بهذه المحنة ولا يأتى يوم ينفرد كل نبي بحزبه وتتوزع المسلمين دعوات مختلفة ورايات مختلفة ومراكز روحية مختلفة ويصبح كهنتها محتكرين بالايمان والنجاة ويكفرون سائر المسلمين». [1]

وقد فتح المرزا باباً آخر للفساد والاضطراب والفوضى فى التفكير الاسلامى والمجتمع الاسلامى، وهو أنه جعل «المكالمات والمخاطبات الالهية» شرطاً لصحة الديانة ونتيجة طبعية للعمل بالأحكام الشرعية والعبادة. وقال فى صراحة وقوة:

«أقسم بالله. إننى أشد الناس مقتا وتبرءاً من دين لا يفتح على أتباعه — رغم عباداتهم وتضحياتهم — باباً للمعرفة الالهية، ولا يشرفهم بالمكالمات والمخاطبات. إننى أقسم بالله أننى أشد الناس

١ — رد تكفير اهل قبله لمحمد على، ص ٣٤.

كراهة وازدراءاً لهذا الدين الذى لا يصلح لهذا، إننى لا أسميه الديانة الرحمانيـــة بل اسميه «الديانة الشيطانيـة» وأومن أنه دين يهدى إلى جهنم ويعيش فيـــه الانسان أعمى ويموت أعمى ويدفن أعمى».

إنه اشترط وأوجب للانسان ما لم يشترطـه الله ورسوله ولم توجبه الشريعة وما أنزل الله به من سلطان، وهكذا عسر هذا الدين الذى كان يسيراً وعاماً للبشر ومهـــد الطريق للدجالين والمشعوذين والمتزعمين الذين يدعون الالهام و«المخاطبات الالهية» ويسيطرون على عقول الناس وأموالهم ويجاهد الناس فى غير جهاد ويبذلون قوتهم ومواهبهم فى ما لا ينفعهم فى الدين ولا فى الدنيـا، وينصرفون عن محكمـات الشريعة وواضحات الدين إلى ملهيات ومبهمات ومتهافتات ومتناقضات تفسد عليهم الدين والدنيا، ويتسائل الانسان هل كان عظماء الصحابة رضى الله عنهم تشرفوا بالمكالمات والمخاطبات الالهيـة؟ وهل صح ذلك عنهم واستفاض؟ فاذا لم يكن ذلك ولم يرو عنهم فهل كانو ناقصين فى دينهم محرومين من السعادة ومتبعين لدين يهدى إلى جهنم؟ أعاذهم الله من ذلك.

---

١ ــ براهين أحمديه، ج ٥ ص ٢٨٣.

الفصل الثالث

﴿ الفرع اللاهورى وعقيدته وتفسيره ﴾

لقد تشبثت الطائفة القاديانية التى يتزعمها المرزا بشيرالدين محمود بعقيدة نبوة المرزا غلام أحمد فى صراحة وصرامة، وحافظت عليها ودافعت عنها فى قوة وحماسة، ومهما قيل عن شذوذها وتطرفها وبعدها عن الاسلام فانها تستحق أن توصف بالشجاعة وعدم النفاق، وعدم اللف والدوران.

موقف معقد : ولكن موقف الفرع اللاهورى — الذى يتزعمه «مولانا» محمد على، صاحب ترجمة القرآن الانجليزية والمؤلفات الكثيرة — موقف غريب يصعب فهمه. إن من درس مؤلفات المرزا — ولو دراسة عابرة — اقتنع وآمن بأنه يدعى النبوة ويصرح بها ويتحدى عليها، ويكفر من لا يؤمن بها، كما أسلفنا فى الفصول السابقة. هذا مما لا يتطرق إليه الشك ولا يسوغ فيه التأويل، ولكن زعماء الفرع اللاهورى يلحون على أن المرزا لم يدع النبوة وكلها تعبيرات ومجازات ويكابرون فى ذلك اللغة

ويكابرون الواقع، ويلقبهم القاديانيون بالمنافقين لأنهم يحاولون الجمع بين العقيدة القاديانية والانتساب إلى مؤسسها وزعيمها وبين إرضاء الجماهير.

عقيدة محمد على اللاهورى: إن محمد على يلقب المرزا غلام احمد بمجدد القرن الرابع عشر والمصلح الأكبر، وزيادة على ذلك يعتقد أنه المسيح الموعود. وعلى ذلك تلتقى الطائفتان. وقد جاء فى تفسيره ما يصرح بذلك، يقول فى تفسير قوله تعالى «ورسولا إلى بنى إسرائيل»: إن ابن مريم الذى أخبر الرسول بقدومه ليس معناه إلا أن يأتى أحد أفراد هذه الأمة فى لون ابن مريم كما تحققت نبوءة عود إلياس بقدوم يحيى فى لونه [1].

ويلقب غلام أحمد بمسيح هذه الأمة فى كتابه «رد تكفير أهل قبلة» [2]، ويلقبه بالمسيح الموعود فى عامة كتبه [3].

إلحاد فى التأويل وتحريف فى التفسير: ويغلب على محمد على اتجاه تفسير المعجزات والأمور الغيبية التى تتعلق بقدرة الله الواسعة

---

١ — بيان القرآن، ج ١ ص ٣١٧.

٢ — ص ٥،

٣ — انظر كتاب النبوة فى الاسلام ومناظرة راولبندى.

بالأمور الطبعية والحوادث العادية التى تتفق مع النواميس الطبعية والتجارب اليومية، وهو يبالغ فى ذلك ويغرق فى التاويل ولو أبى ذلك اللغة الصريحة، واللفظ الصريح، وهو أسلوب لبق من أساليب إنكار المعجزات والأمور الغيبية والفرار من الايمان بالغيب والاعتماد على قدرة الله وصفاته وأفعاله، والخضوع الزائد للقررات الطبعية التى لا تزال فى دور التحول والتطور، وهذا تفكير خطير على الاسلام ومعارضة للدين الذى يطلب الايمان بالغيب، وهنا أمثلة من هذا التفسير.

أمثلة من التفسير:

١ - إنه يفسر قوله تعالى فى قضية طائفة من بنى إسرائيل عبدت العجل وعاقبها الله بأن يقتل بعضها بعضاً «فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم»: إن المراد بالقتل هنا اماتة الشهوات وهذا الذى أرجحه بناءاً على السياق والسباق.[1]

٢ - ويقول فى تفسير قوله تعالى «ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون»: «المراد بالموت هنا زوال الحس يعنى إنه غشى عليهم وفقدوا الشعور حين أخذتهم الصاعقة ثم رد الله إليهم

١ – بيان القرآن، ج ١ ص ٦٥.

الشعور فكان ذلك بعثا لهم ، أو المراد زوال القوة العقلية ، يعنى كان اقتراحكم اقتراح جهل وضلالة ، فكنتم فى موت جاهلى، أنقذكم الله منه ورزقكم الايمان على نسق قوله تعالى «أ ومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس» وكقول الشاعر :

أخو العلم حى خالد بعد موته
و أوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى
يظن من الأحياء وهو رميم[١]

٢- ويقول فى تفسير قوله تعالى «فقلنا اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا ، قد علم كل أناس مشربهم» من معانى الضرب السير فى الأرض يقال ضرب فى الأرض يعنى سار ،[٢] ومن معانى العصا الجماعة وعصوت يعنى جمعت ويقال عن الخوارج شقوا عصا المسلمين، ويقال إياك وقتيل العصا ،[٣] والمراد أن الله أمر موسى بالمسير إلى جبل خاص ،

---

١ — بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٦ .
٢ — بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٩ .
٣ — بيان القرآن ، ج ١ ص ٦٩ .

والانتقال بجماعته إليه حيث وجد اثنتى عشرة عينا ضرب عليها، فصائل بنى إسرائيل خيامها واخبيتها.

٤ - ويقول فى تفسير قوله تعالى «ورفعنا فوقكم الطور» ليس المراد أن الله رفع هذا الجبل على رؤسهم مثل الظلة لا يستقر على والانتقال بجماعته اليه حيث وجد اثنتى عشرة عينا ضرب الأرض، بل المعنى أنكم كنتم فى المنخفض من الأرض وكان الجبل يطل عليكم كما جاء فى البخارى فرفعت لنا الصخرة يعنى ظهرت لأبصارنا.[٢]

٥ - ويقول فى تفسير قوله تعالى «فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين» لم يمسخوا قردة ولكن مسخت قلوبهم وجعلت أخلاقهم كأخلاقها.[٣]

٦ - وقال فى تفسير قوله تعالى «وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون، فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون»: المراد بالمقتول هنا نبي

---

١ — بيان القرآن، ج ١ ص ٧٠.

٢ — بيان القرآن، ج ١ ص ٧٤.

٣ — بيان القرآن، ج ١ ص ٧٥.

اختلف فى قتله ، ولم ينجح فى قتـــله من حاول ذلك ، وذلك هو المسيح الذى حاول قتله اليهود ولم يقتلوه ونشأ فى ذلك اختلاف . والضمير فى قوله تعالى « اضربوه » يرجع إلى النفس ، فقد يكون ضميرها مذكراً بناءاً على المعنى ، والضمير فى قوله تعالى « ببعضها » يرجع إلى فعل القتل يعنى اقتلوه بعض قتل أو لا تكملوا عليه فعل القتل ، وقد كان ذلك . فلم يجر عليه القتل المجهز وبقى على الصليب ثلث ساعات ولم تكسر عظامه وأبقاه الله حيا أو أحياه الله بعد موته . ومعنى « ويريكم آياته لعلكم تعقلون » يعنى إن المسيح الذى كان يظهر لكم موته قد أحياه الله ، لأنه كان غاية حياته إعلاء كلمة الله ، كذلك إذا تكفلتم إعلاء كلمة الله خلدكم الله رغم أنكم أمة ميتة .[1]

٧ـ وهكذا أول كلام المسيح فى المهد لأنه يخالف التجربة والعادة الطبعية . وأنكر أن المسيح ولد من غيرأب ، وذكر أن عقيدة ولادة المسيح من غيرأب ليست من عقـائد الاسلام التى يجب الايمان بها وإنها من مبادى المسيحية ،[2] وإن مريم كانت

---

١ ـ بيان القرآن ، ج ١ ص ٧٩ .

٢ ـ بيان القرآن ، ج ١ ص ٣١٣ .

متزوجة بيوسف النجار وإن المسيح ولد بطريق عادى.[١]

٨- وقال فى تفسير قوله تعالى «إنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً باذن الله» إن المراد بالطير هنا — على طريق الاستعارة — رجال يستطيعون أن يرتفعوا من الأرض وما يتصل بها من أشياء وأخلاق ويطيروا إلى الله، فان الانسان يستطيع بنفخ النبي إلى أن يتجرد من الأفكار البشرية السافلة ويحلق فى عالم الروح.[٢]

٩- والمراد باليد البيضاء التى أعطى موسى الحجة المبرهنة،[٣] والمراد بالحبال والعصى فى قوله تعالى «فألقوا حبالهم وعصيهم» الوسائل والحيل التى عملوها فى إحباط سعى موسى عليه السلام، والمراد أنهم لم يدخروا جهداً فى معارضة موسى، والعصا مجاز كقولهم «قرعه بعصا الملامة».[٤]

١٠- وفسر قوله تعالى «قالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا»: لقد كان عيسى ابن ثلاثين سنة فى ذلك الحين فاعتذروا

---

١ — بيان القرآن، ج ١ ص ٣١٤، ٣١٥.
٢ — بيان القرآن، ج ١ ص ٣٢١.
٣ — بيان القرآن، ج ٢ ص ٧٦٦.
٤ — بيان القرآن، ج ٢ ص ٧٦٨.

وقالوا: لقد ولد ونشأ بأعيننا وبمرأى ومسمع منا، وكل شاب صغير أمام الشيوخ الكبار لأنه ينشأ فى أحضانهم ويكبر أمامهم.[١]

١١- وقال فى قوله تعالى «فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى»: قال بعض المفسرين اضرب البحر بعصاك ليصير لهم طريقا، ولكنهم قد أبعدوا النجعة، وقال بعضهم: والمراد بالضرب إسراع فى السير وتؤيده اللغة. وقد قيل «ضرب يعسوب الدين بذنبه» يعنى أسرع فى الفرار من الفتن. وقد كان هذا الطريق الذى اختاره موسى طريقاً معبداً من قبل يسلكه الناس.[٢] فالمراد أسرع ببنى إسرائيل على الطريق الموجود.

وقال فى سورة الشعراء فى قوله تعالى «اضرب بعصاك البحر»: يمكن أن يكون المراد به انطلق بعصاك فى البحر، أو انطلق بجماعتك فى البحر، وتؤيده آية سورة طه «فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً».[٣] ويمكن أن يكون المراد فى قوله

---

١ — بيان القرآن، ج ٢ ص ١٢١٣.
٢ — بيان القرآن، ج ٢ ص ١٢٤٤.
١ — بيان القرآن، ج ٢ ص ١٢٩١.

تعالى «فكان كل فرق كالطود العظيم» قطعة من الماء وأن يكون المراد كل فريق من بنى إسرائيل ومن جنود فرعون، فتراءوا للناظرين كالأطواد الشامخة.[١]

١٢ - ويقول فى تفسير قوله تعالى «فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته»: المراد بدابة الأرض هو رحبعام ابن سليمان الذى تولى الملك بعده وفى عهده تضعضعت المملكة السليمانية واضطرب حبلها، وقد سمى بدابة الأرض لأنه كان قاصر النظر لا يجاوز نظره الأرض. وتنخر العصا كناية عن ضعف الحكومة وانقراضها. والمراد بالجن شعوب أجنبية بقيت فى حكم بنى إسرائيل إلى ذلك العهد.[٢]

١٣ - وفسر منطق الطير فى قوله تعالى «وعلمنا منطق الطير»: حمل الطيور للرسائل من مكان إلى مكان كالحمام الزاجل.[٣] وفسر وادى النمل بأنها موضع فى نواحى اليمن، والنملة بطن من بطون العرب أو أمة كانت تسكن فى وادى النملة.[٤]

---

١ — بيان القرآن، ج ٣ ص ١٣٩٢.
٢ — بيان للقرآن، ج ٣ ص ١٥٣٦.
٣ — بيان القرآن، ج ٣ ص ١٤٠٩.
٤ — بيان القرآن، ج ٣ ص ١٤١١.

١٤- ويفسر قوله تعالى «ولسليمن الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى باركنا فيها» بأن كانت الرياح مساعدة له وأنها كانت تسير السفن، أو المراد سير السفن وإن مراكبها الشراعية كانت تسير مسافة بعيدة[1]. «ولسليمن الريح غدوها شهر ورواحها شهر» يعنى كانت السفن تقطع فى غدو ورواح مسافة لا يقطعها الانسان الا فى شهر.[2]

١٥- وقال فى قوله تعالى «وتفقد الطير فقال ما لى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين»: المراد بالهدهد إنسان كان يسمى الهدهد وكان رئيس البوليس السرى فى حكومة سليمان، وقد جرت العادة بتسمية الرجال بالحيوانات والطيور كأسد وغيره فى العرب وفوكس (fox) ووولف (wolf) فى الانجليز وقد جاء فى التوراة إسم ابن هدد وهما متقاربان.[3]

١٦- وقال فى قوله تعالى «قال الذى عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك»: ليس محمولا على الحقيقة

---

١ — بيان القرآن، ج ٢ ص ١٣٧٨.

٢ — بيان القرآن، ج ٢ ص ١٥٣٤.

٣ — بيان القرآن، ج ٢ ص ١٤١٢.

بل هو مبالغـــة فى السرعة ، وقد كان بين العفريت والذى عنده علم من الكتاب مباراة ، فكان العفريت — وهو الرجل الذى يخوض فى أمر بخبث وشدة ، ويوصله إلى الكمال — ممثلا للقوة البدنية ، وكان يحتاج إلى وقت أطول فى إحضار هـــذا العرش ، وكان صاحب العلم يستطيع أن يكمل مهمتـه فى وقت قصير مع أنه لم يكن على جانب عظيم من قوة الجسم ، والمقصود ترجيح العلم على القوة .[١]

١٧ـ ويقول فى قوله تعالى « فالتقمه الحوت وهو مليم ، فلولا أنه كان من المسبحين ، للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون » : المراد أنه لو لم يكن من الدعاة إلى دين الله لالتقمه الحوت أو مات غرقا ولبث فى بطن البحر إلى يوم القيمة .[٢]

١٨ـ والمراد بالجن فى قوله تعالى « وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن » : طائفة من البشر اجتمعوا بالنبي صلى الله عليـه وسلم فى الخفـاء ، وليس المراد به نفوس لا يقع عليها البصر ، وقد جاؤا من الخارج وكانوا أجانب وغرباء ولذلك سموا جنا .[٣]

١ـ بيان القرآن ج ٣ ص ١٤١٦، ١٤١٧ ٢ـ ايضاً ج ٣ ص ١٥٩٠ ٣ـ ايضاً ج ٣ ص ١٧١١

١٩ - والمراد بذلك فى قوله تعالى «قل أوحى إلى أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا»: يظهر أنهم كانوا نصارى وقد جاء ذكرهم على طريق النبوءة، ويكون المراد شعوب مسيحية تبلغ الذروة فى العظمة والرقى فتصبح بذلك جنا وعفاريت وعباقرة (فى القوة والصنعة) ويؤمن بعض طوائفها بالقرآن.[١]

تلاعب بالقرآن واللغة العربية: ونقتصر على هذه الطرائف التفسيرية التى تدل على عقليته واتجاهه وعلى فراره من كل ما يطلب الايمان بالغيب وبالقدرة الالهية التى وسعت كل شىء وعلى التلاعب باللغة ولفظ القرآن، وتدل دلالة واضحة على أن هـذا الكتاب الذى نزل بلسان عربى مبين والذى وصفه الله باليسر والوضوح «ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر» لم يفهم منذ نزل، وبقى لغزة من الالغاز وسرا من الأسرار ثلاثة عشر قرناً، وكان من أبعد الناس عن فهمه وابخسهم نصيباً فيه هم الصحابة والسابقون الأولون الذين نزل بلغتهم وخاطبهم القرآن، وسلف هـذه الأمة. وما هذه التفسيرات المتطرفة إلا نسخـة صادقة لتفسيرات الباطنية

---

١ — بيان القرآن، ج ٢ ض ١٨٩٣ .

والاسماعلية فى العهد الماضى .[1]

دعاية وتهريج: وقد شاع فى الناس أن الفرع اللاهورى من أنشط الجمعيات والمؤسسات فى نشر رسالة الاسلام فى أوربا والدعوة الاسلامية ، وقد أسلم عدد كبير من المسيحيين والمثقفين فى إنكلترا وألمانيا وفرنسا ، ولكن تحقق أن الدعاية أكثر وأعظم من الحقيقة ، وأن العدد الذى أسلم ضئيل جداً ، وكثير من هؤلاء المهتدين قد أسلموا من قبل واستغل اسمهم وإسلامهم القديم دعاة الأحمدية ، والباقى أكثرهم من المرضى والزمنى والعجائز والمريضات أو من الذين نبذهم المجتمع الأوربى . وهنا نبذة من مقالة لكاتب مسلم « فضل كريم خان درانى » بالانجليزية قد سافر إلى لندن ١٩٣٤م :

« لا يوجد فى عظماء الانجليز الذين أسلموا من يرجع الفضل فى إسلامه إلى « ووكنج مشن » (Woking Mission) . وقد أعلن اللورد هدلى أنه درس الاسلام بنفسه واعتنق الاسلام ، ولم أتعرف على الخواجه كمال الدين إلا قبل إسلامى بأسبوعين

---

١ — راجع محاضراتنا فى كلية الشريعة فى جامعة دمشق ، المحاضرة السابعة .

فقط. وقد أسلم المستر مارماديوك پكتهال فى مصر وبفضل الأتراك والمصريين وتأثيرهم. وقد اعتنق سر ارجيبالد هملتن (Archibald Hamilton) بضرورة عائلية. وهكذا إذا فحصنا وجدنا أن ووكنج مشن، ليس لها فى إسلام هؤلاء فضل ولا نصيب».[1]

ويقول فى نفس هذه المقالة:

«لست أدرى كيف شاع فى الهند أن جامع ووكنج من بناء القاديانيين، الواقع أن هذا الجامع إنما بنى بالمال الذى تبرعت به إمارة بوفال الاسلامية. أما المسكن الذى بجوار الجامع فهو فى تذكار وزير حيدر آباد المشهور سرسالار جنگ، وقد بنى كل ذلك تحت إشراف العالم الألمانى الدكتور لاتنس. لقد أسكن المؤلف الاسلامى المشهور السيد أمير على الخواجه كمال الدين فى هذا الجامع، وإلى الأول يرجع الفضل فى بقاء هذا الجامع مركزاً للسلمين».[2]



١ — مجلة حقيقت اسلام، لاهور، يناير ١٩٣٤.
٢ — المصدر السابق.

الفصل الرابع

﴿ رسالة القاديانية وإنتاجها ﴾

وأخيرا نستعرض هذه الدعاوى المهولة وهذه الحياة الصاخبة، وهذه المكتبة الضخمة[1] وهذه المعركة الحامية بين المسلمين. ماذا كانت رسالتها، وماذا كان إنتاجها وماذا جنا منها العالم الاسلامى؟

استعرض العالم الاسلامى فى نهاية القرن التاسع عشر المسيحى، لقد زحف إليه الغرب باستعماره الغاشم وثقافته المجردة عن روح الدين، وحضارته الملحدة وأخلاقه المادية، فوقع العالم الاسلامى الذى كان قد ضعف فى الايمان والعلم والقوة المادية وبدا عليه الاعياء، فريسة للغرب المسلح القتى، وحدث صراع عنيف بين الدين السماوى الأخير والرسالة الأخيرة، وبين الحضارة المادية الملحدة، ووقعت مشاكل سياسية ومدنية وعلمية واجتماعية طريفة تحتاج فى حلها إلى إيمان قوى وعلم راسخ، ودراسة عميقة واسعة، وعقل كبير وشىء كثير من الابداع والابتكار والثقة بالنفس وقوة

---

١ ــ ألف المرزا نحو أربعة وثمانين كتاباً.

الشخصية وروحانيـة كبيرة. وكان العالم الاسلامى فى حاجـة ملحة إلى مجـدد ينفخ فيه روح الجهـاد، ويجـدد فيه العلم، وينشىء فيه الوحـدة، ويطبق — بإيمـانه الراسخ وعقله الكبير العبقرى — بين الرساله الاسلامية الخالدة وبين روح العصر المتجددة من غير أن يفقد الاسلام خلوده ومتانته والدين مبادئه وأحكامه، ومن غير أن يحرم الجيل الاسلامى الجديد حقه من الحياة وحقه من التفكير وحقه من النهضة.

لقـد كان العالم الاسلامى فى حاجة إلى داعية يوحد العالم الاسلامى وينفخ فيه حياة جـديدة ويناهض الغرب الزاحف وحضارته الهاجمة بقوة إيمانه وجدة علمه وشدة جهاده.

وكان العالم الاسلامى يعانى أزمات دينية وخلقية وعلمية، كان من أشد أمراضه الفاتكة وملامحه الشائنة الشرك السافر، وعبادة القبور والضرائح، والاستغاثة بغير الله، والبدع الفاشية، والخرافة الفاضحـة، وكان لكل ذلك فى حاجـة شديدة إلى مصلح دينى شجاع يحارب الجاهلية فى المجتمع الاسلامى ويدعو إلى التوحيد الاسلامى النقى والسنة البيضاء فى قوة ووضوح وجد وصراحة ويصرخ بأعلى صوته «ألا لله الدين الخالص» صرخة تدوى له السهول والجبال،

وتهوى له معالم الجهل والضلال . وقد فعل ذلك رجال فى مختلف أنحاء العالم الاسلامى فى فترات مختلفـــة ، فخدموا الاسلام خدمة باهرة وأخرجوا ــ باذن الله ــ عـــدداً كبيراً من المنتسبين إلى الاسلام من الظلمات إلى النور ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، وأثمرت دعوتهم المخلصة الجريئة وأتت أكلها فى حينها وبعد حينها وانصلت بفضلهم حركة الاصلاح والتجديد فى تاريخ الاسلام .

وكان يعانى أزمة خلقية عنيفة بتأثير الحكومة الأجنبية والحضارة المادية الجديدة فكان فى طريقه إلى التحلل الاجتماعى والتفسخ الخلقى تطغى عليـه عبادة المـادة والشهوات والخضوع والاستكانة للقوى القاهر والغنى الفاجر ، والتشبه بالسادة الأجانب وتقليدهم فى شعائرهم وفى ما ليس من الفضيلة والحضارة فى شىء ، وكان لذلك فى حاجة عظيمة إلى مصلح اجتماعى حكيم يحارب الاتجاه الخطر الذى يفقد هذه الأمة العظيمة ــ صاحبة الدعوة والرسالة ــ شخصيتها وكرامتها وجـدارتها للسيادة والوصاية عـــلى العالم بل حقها للبقاء والحياة الـكريمة .

وكان يعانى أزمة علمية ، كان يسود على كثير من طبقاته الجهل المطبق والأمية الغاشية ، وعلى طبقتها المثقفة الثقافة العصرية الجهل

بالاسلام وشريعته ونظمه وتاريخه وماضيه، وإمكانيات حياته.
وكانت الفجوة واسعة وعميقة بين الطبقتين المثقفة الثقافة الدينية القديمة، والمثقفة الثقافة المدنية، وكانت هذه الفجوة تزداد اتساعا وعمقا على مر الأيام فكان فى حاجة إلى دعوة تعليمية حكيمة تعنى بنشر العلم الصحيح وتثقيف الأمة والتقريب بين الطبقتين المتنافستين الاسلاميتين وإلى تأسيس دور العلم الكثيرة ودور النشر الكثيرة وإلى حركة التأليف والترجمة والنشر الصحيحة، وإلى إنتاج الأدب الاسلامى العصرى القوى الصحيح.

وكان من أعظم حاجاته دعوة دينية على منهاج الدعوة الاسلامية الأولى تدعوا إلى الايمان والعمل الصالح والحياة الايمانية التى وعد الله عليها النصر والفوز والغلبة علـــى الأعداء والسعادة فى الدنيا والآخرة، فما كانت هذه الأمة — منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم — فى حاجة إلى دين جديد ولكنها كانت فى فترات من تاريخها فى حاجة إلى إيمان جديد يقاوم فتن العصر الجديد ومغريات الحياة الجديدة، وقوى الكفر والمادية الجديدة.

وقد قام لكل حاجة من هذه الحاجات رجال فى العالم الاسلامى وساهموا فى التجديد والاصلاح المطلوبين المنشودين مساهمة تذكر

فتشكر، وقد قاموا بواجبهم ومثلوا دورهم من غير دعوى ومن غير تحد ومن غير دعوة إلى إسلام جديد أو نبوة جديدة أو تكفير لعامة المسلمين. فنفعوا من غير ضرر، وخدموا من غير خطر، ولم يزيدوا هذه الأمة افتراقا وتشتتا وفوضى ولم يجاهدوا فى غير عدو وفى غير جهاد.

فى هذه الساعة العصيبة التى كان فيها العالم الاسلامى فى اضطراب عظيم ظهر المرزا غلام أحمد ووقف فى الهند — المركز الذى اشتد فيه هذا الاضطراب للحكم الانجليزى المباشر — وركز فكره وكرس علمه وقلمه على موضوع واحد وعلى قضية واحدة «رفع المسيح ونزوله»، وصرح بأنه أعظم أهدافه وإلغاء الجهاد وتزكية الحكومة الانجليزية وإطرائها والدعوة إلى الاخلاص لها. ومكث طول حياته يجول فى هذا الموضوع ويدور حوله ويبدى ويعيد فيه، ولو جردت كتبه ومؤلفاته التى تكوّن هذه المكتبة العظيمة — من هذا البحث ومن هذا النقاش — لبقيت أوراق وصحائف معدودة لا قيمة لها.

ثم قام فى هذا العالم الاسلامى — الذى كان فريسة الاختلافات والنزاعات الدينية من قبل وقد كثرت فيه الفرق والطوائف —

فدعا إلى نبوة جديدة وكفر من لا يؤمن بها وأقام بينه وبين المسلمين جداراً سميكاً وستراً صفيقا من النبوة الجديدة بقى العالم الاسلامى فى جانب منه وجماعـــة تعد بالآلاف فى جانب آخر، فزاد المسلمين فى الهنـد (وباكستـان أخيراً) افتراقاً على افتراق وتشتتا على تشتت، وزاد فى الفرق الاسلامية فرقة تقل منها فى العدد وتزيد عليها فى الضلال والبعد عن المسلمين، والعداء للاسلام. وهكذا زاد فى مشاكل المسلمين مشكلة عظمى، وزاد فى العقد عقدة لا يزال المسلمون منها فى تعب وبلاء.

إنه لم يضف إلى الثروة الاسلامية شيئا يغتبط به، ويشكره عليه العالم الاسلامى وتاريخ الاصلاح والتجديد. فلم يكن مصلحا دينيا ولا مصلحاً اجتماعيا، إنه كان داعية شخصيا قد أسس لنفسه وأسرته وخلفاءه امارة روحيـــة ارستقراطية مثل آباء آغا خان، ونشر الفوضى الفكرية التى لا تزال مصدر اضطراب وإلحاد وثورة على الدين. إن عدد اولئك الذين اسلموا واهتدوا من غير المسلمين ضئيل لا يجاوز عدد أصابع يد واحدة، وإنما كانت جهوده وعنايته مصروفة إلى المسلمين وإثارة الشكوك فيهم.

الواقع أنه لو لم تكن تلك الفوضى الفكرية التى كانت الهنـــد

تعانيها بصفة عامة وبنجاب بصفة خاصة بسبب السلطة الانجليزية وانقراض الدولة المسلمة وتبلبل المجتمع الاسلامى ، وبسبب المتصوفين الجهال الذين كانوا ينشرون إلهاماتهم ومناماتهم . ولو لا جهل الجيل الجديد بالاسلام ولو لا تبنّى الحكومة الانجليزية لهذه الدعوة واحتضانهما وحمايتها وتشجيعها ، لو لا هذه العوامل كلها ، لما كان لهـــذه الدعوة الخرافيـة ـ المؤسسة على الالهـامات والمنامات والتأويلات ـــ وهذه الحركة الدخيلة الهزيلة مجال ومتسع فى المجتمع الاسلامى ، ولكنها عقوبة من الله على الجهل والعبودية والكفر بنعمة الاسلام الصحيح الخالد والنبوة المحمدية الخاتمة الأخيرة .

ونختم الكتاب بكلمة مقتبسة من احدى محاضراتنا التى ألقيناها فى الجامعة السورية بدمشق ونحن نتكلم عن الحركة الباطنية ومصيرها فى التاريخ :

« ويبدو لى أيها السادة ، كلما قرأت تاريخ الباطنية وإخوان الصفا وتاريخ البهائيـة والقاديانية أن أصحابها قرأوا تاريخ الاسلام وتاريخ الرسالة المحمدية والدعوة الاسلامية فرأوا رجلاً يقوم فى جزيرة العرب وحيداً فقيراً أعزل ويدعو إلى عقيدة وشريعة ، فلا يلبث أن يكـوّن أمة ويكون دولة ويكون حضارة ، ويرغم التاريخ

على أن ينحوا نحواً جديدا، فغرت هؤلاء نفوسهم الطامحة وأعزمتهم بأن يجربوا هذه التجربة وعندهم الذكاء والدهاء وقوة التنظيم والعلوم والأتباع عسى أن يكونوا أمة ودولة وحضارة. ولما ذا لا تثمر الجهود، ولما ذا لا تتكرر المعجزة؟ والفطرة البشرية لا تزال هى الفطرة ولا يزال الناس أشباها. لقد رأى هؤلاء الطامحون هذا الرجل الوحيد الفقير الأعزل ولم يروا ما يعتز به من رسالة ونبوة وشخصية وسيرة، ولم يروا تلك الارادة الغلابة التى قضت بانتصاره وظهوره وخلوده «هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون». وقد أثمرت جهودهم موقتا فكان لهم أتباع وأشياع، وقد استطاع بعضهم – كالباطنية – أن يقيم دولة، وقد ازدهرت هذه الدولة وبقيت ما بقيت تنظيماتهم وحيلهم واستدراجاتهم، وما لبثت أن تبخرت وتلاشيت وبقيت دياناتهم فى نطاق ضيق لا تقدم ولا تؤخر فى العالم. أما الاسلام الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فلا يزال القوة الروحية الكبرى ولا يزال صاحب أمة، ودول وحضارة، وأما شمس النبوة المحمدية فلا تزال مشرقة لم تنكسف ولم تحتجب يوماً واحداً».

المصادر القاديانية

(حرصنا على أن نذكر مع أسماء الكتب السنين التى طبعت فيها والطبعات ولكننا وجدنا بعض المطبوعات لم يذكر فيها السنة التى طبعت فيها وبيان الطبعة)

١- سيرة المهدى، جزء ١-٢، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٥ع.
سيرة المهدى، الجزء الثالث، الطبعة الأولى سنة ١٩٣٩ع.

٢- كتاب البرية، الطبعة الثانية سنة ١٩٣٢

٣- الأربعين، الطبعة الثانية سنة ١٩٢٠

٤- حقيقة الوحى، المطبوع سنة ١٩٠٧

٥- تحفه شاهزاده ويلز، (فى اللغة الانجليزيه) الطبعة الثانية سنة ١٩٢٢

٦- براهين أحمدية، الطبعة الرابعة سنة ١٩٠٧

٧- مكتوبات أحمدية، الجزء الخامس

٨- كشف الاختلاف، فبرائر سنة ١٩٢٠، مطبع ضياء الاسلام، قاديان.

٩- تبليغ رسالت.

١٠- حياة ناصر، للنواب ناصر الدهلوى، صهر المرزا غلام أحمد

١١ - مرقاة اليقين فى حياة نور الدين ، ملتزم الطبع والنشر: احديه انجمن اشاعت اسلام ، احديه بلدنگ ، لاهور

١٢ - كلمة الفصل.

١٣ - تشحيذ الأذهان.

١٤ - صحيفة الفضل ، الرقم ٢٣٦٩ ، سنة ١٩٢٣ع

١٥ - صحيفة پيغام صلح ، المجلد الرابع الرقم ١١٤

١٦ - تفسير محمد على اللاهورى

١٧ - نزول مسيح ، الطبعة الأولى سنة ١٩٠٩

١٨ - معيار الأخبار

١٩ - سرمه چشم آريه ، الطبعة الأولى سنة ١٨٨٦ الرقم ٤٦٢

٢٠ - مكتوبات أحمديه ، الجزء الثالث

٢١ - Our Indian Musalmans

٢٢ - فتح إسلام ، سنة ١٨٩٤ ، الرقم ٢٢٧

٢٣ - إزالة الأوهام ، الطبعة الثانية سنة ١٩٠٢

٢٤ - توضيح مرام ، الطبعة الثانية سنة ١٨٩٧

٢٥ - خطبة الهاميه ، المطبوع سنة ١٩٠٢

٢٦ - الرسالة العربية ، ملحقة بـ «آئنة كمالات اسلام» الطبعة الثانية يوليو سنة ١٩٢٤

٢٧- حقيقة النبوة، سنة ١٩١٥

٢٨- تحفة الندوة، سنة ١٩٠٢، مطبع ضياء الاسلام قاديان .

٢٩- ايك غلطى كا ازاله، ملحق حقيقة النبوة

٣٠- آئنة كمالات اسلام أو دافع الوساوس الطبعة الثانية، ١٩٢٤!

٣١- انجام آتهم، سنة ١٨٩٧

٣٢- نجم الهدى

٣٣- اعجاز احمدى، سنة ١٩٠٢

٣٤- آسمانى فيصله، ٣٠ دسمبر سنة ١٩١٧، ربيع الاول سنة ١٣٣٦ مطبع ضياء الاسلام، قاديان .

٣٥- الحكم

٣٦- تبليغ رسالت

٣٧- ريويو آف ريليجنز

٣٨- در ثمين

٣٩- انوار خلافت، سنة ١٩١٦

٤٠- رد تكفير اهل قبله، سنة ١٩٢٦، مقبول عام پريس لاهور

٤١- بيان القرآن (محمد على) الجزء الأول كريمى پريس

نشره محمد الثاني مدير مكتبة اسلام، لكناؤ بأمر مجلس ختم نبوت ملتان